المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

البلاغة الصوتية للراء
في فواصل سورة الكوثر

The eloquence of the letter Ra
in the last verses of Surat Al-Kawthar

بقلم الدكتورة

فاطمة أحمد محمد أحمد محمد

مدرس البلاغة والنقد بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان
جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولي/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

البلاغة الصوتية للراء في فواصل سورة الكوثر

فاطمة أحمد محمد أحمد محمد

قسم البلاغة والنقد في كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Fatimaahmed.2165@azhar.edu.eg

الملخص

اختتمت فواصل سورة الكوثر بصوت الراء ، ليكون بجرسه وإيقاعه هو الصوت الذي تستقر عنده دلالات الآيات الكريمات ، وقد هدف البحثُ إلى : الكشف عن وجوه التناسب بين الطاقات الصوتية للراء ، وبين بلاغة الآيات البينات ، الأمر الذي جعل صوت الراء جديرا بأن يكون وجها من وجوه الإعجاز في سورة الكوثر ، وقد اتبع البحث المنهج: الاستنباطي والمنهج الوصفي، وكانت أبرز نتائج البحث: ظهور البلاغة الصوتية للراء في فواصل سورة الكوثر على حد أعجز – ولا يزال – أرباب الفصاحة واللسان ، وأهل البراعة والبيان ؛ إذ جاء صوت الراء في ختام كل آية بصفاته وطاقاته، مطابقا لمقتضى الحال متناغما معه .

الكلمات المفتاحية : البلاغة الصوتية، الفاصلة، الراء، الكوثر ، البلاغة، الأصوات .

The eloquence of the letter Ra in the last verses of Surat Al-Kawthar

Fatima Ahmed Mohamed Ahmed Mohamed
Department of Rhetoric and Criticism, Azhar Girls College in Tenth of Ramadan, Al-Azhar University, Egypt
Email: Fatimaahmed.2165@azhar.edu.eg

Abstract

The verses of Surat Al-Kawthar were concluded with the letter Ra, and its rhythm was the sound at which the meanings of the noble verses end.

The research aimed to: reveal the aspects of compatibility between the characteristics of the Ra sound and the eloquence of the verses, which made the Ra sound one of the aspects of the miracle in Surat Al-Kawthar.

The research followed the method: deductive and descriptive method,

The most important results of the research: The emergence of the eloquence of the Ra sound in the last verses of Surat Al-Kawthar in a way that baffled the people of eloquence and rhetoric, as the Ra sound came at the end of each verse with its characteristics and energies, appropriate to the context of the verse and its meaning.

Keywords: phonetic rhetoric, the last verses, ra, al-kawthar, rhetoric, sound.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل القرآن ولم يجعل له شبيها ولا نظيرا ، وأعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، والصلاة والسلام على من أرسله ربُّه شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، سيدنا محمد الذي خُصّ بالخير وجُعل به جديرا، إذ كان الله له مؤيدا ونصيرا ، ومن شرور أعدائه كافيا ومجيرا .

أما بعد :

فقد تحدى الله بكتابه أساطين البلاغة والبيان ، وأرباب الفصاحة واللسان ، فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة من مثله ، وما أعجزهم القرآنُ لعجز فيهم ، وإنما لأنه كلام الله الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

وقد كثرت الآراء وتنوعت حول وجوه إعجاز القرآن ، بيد أن أرسخها قيلا وأقواها دليلا وأظهرها سبيلا : بلاغة القرآن الكريم ، تلكم البلاغة التي تحققت في آيات القرآن كلّه ، تساوى في ذلك مكيها ومدنيها ، محكمها ومتشابهها ، طويلها وقصيرها.

وقد تحققت هذه البلاغة في آي الذكر الحكيم ، على المستويات كافة : الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وكان التناسب والتآخي بين بلاغة النظم القرآني وبنيته الصوتية ، من أدق وجوه التناسب وأخفاها، وأكثرها لطفا وأغناها .

والفاصلة في آي القرآن بمنزلة القافية من الشعر ، والصوت الخاتم فيها بمنزلة الروي من القصيدة ، ذلك الصوت الذي تُختم به الآيات ، وتستقر عنده المعاني والدلالات ، وقد تنوعت سور القرآن الكريم ، ما بين وحدة الصوت الخاتم (كما في سورة الكوثر) ، أو تعدد الأصوات الخاتمة (كسورة الفلق مثلا) ، وذلك وفقا لمقصد كل سورة .

وقد تناول هذا البحث البلاغة الصوتية للراء في فواصل سورة الكوثر ، وكان **هدفه** هو: الإجابة عن أسئلة فرضتها الدراسة وهي : ما الطاقات الصوتية التي تميز بها صوت الراء وكان قادرا من خلالها على احتواء معاني السورة الكريمة ؟ وما وجه التناغم بين الإعجاز البلاغي للآيات ، والإعجاز الصوتي للراء في آخرها ؟.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع ، ما يلي :

الإيمان التام بأن هناك علاقة تناسب بين سياق الآية القرآنية وأصواتها ، وأن ذلك أمر محقق في كتاب فصلت آياته من لدن حكيم خبير ، سواء أُدركت هذه العلاقة أم لا ؛ إذ ليس في القرآن الكريم ثمة شيء من قبيل الصدفة .

ومن ثم كانت الرغبة في دراسة وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، والبحث في سر من أسراره، وكشف النقاب عن وجه التناسب بين الراء من حيث كونه صوتا له قدرات وطاقات خاصة، وبين الإعجاز البلاغي في السورة الكريمة.

وإيثار سورة الكوثر بالدراسة ؛ إذ إنها تمثل أعلى درجات التحدي وأقوى نبراته وأبرز مظاهره ؛ فبها – على كونها أقصر سور القرآن – كان التحدي والإعجاز ، كما كان بسورة البقرة ، أطول سور القرآن العظيم .

وإنما كان التركيز على الصوت الخاتم في فواصل السورة ؛ ذلك لأنه آخر ما يقع على الأسماع (وقفا على رؤوس الآي) ، وقد تكرر في ختام كل آية من آيات السورة الكريمة ، ومن ثم فإن له خصوصية تجعله جديرا بأن يُفرد بالدراسة والبحث .

أهمية الموضوع:

أولا – تعلقه بكتاب الله تعالى ، فشرف العمل من شرف موضوعه .

ثانيا – قيام هذا الموضوع على الدراسات البينية التي تذيب الحدود بين العلوم، وتختزل المسافات ، وتجسّر الروابط والصلات ، إذ أُسس هذا البحث ورفعت قواعده على مجموعة من العلوم : علم التفسير وعلم البلاغة من ناحية

وعلم الأصوات وعلم التجويد من ناحية أخرى ، الأمر الذي بدوره يؤكد أهمية النظر إلى العلوم نظرة تكاملية ، بحيث لا يهيمن الدرس التخصصي على الباحثين ويفرض نفسه عليهم ، مما يترتب عليه أن تصبح المعارف كجزر منفصلة عن بعضها .

ثالثا – طبيعة هذه الدراسة لا تجد بديلا عن الاستنباط والاجتهاد في البحث عن تلك المناسبة الجامعة بين الصوت والدلالة ، والاجتهاد هو مخّ البحث العلمي ، وأرفع طبقات البحوث العلمية ما كان قائما عليه ؛ إذ إنه يفتح آفاقا جديدة تهدف إلى تطوير العلوم والارتقاء بها، معتمدا على توظيف المعرفة .

وقد حاولتُ قدر الطاقة أن يكون هذا الاجتهاد قائما على الملاحظة الواعية والتدقيق والبحث والتنقيب ، حتى لا أقع في شَرَك التكلف أو التمحل .

الدراسات السابقة :

لم أجد – فيما أعلم – بحثا قد تناول البلاغة الصوتية للراء في خواتيم آي سورة الكوثر ، وذلك على تعدد الدراسات التي تناولت البلاغة الصوتية في القرآن الكريم عامة ، أو في بعض السور خاصة ، مثل :

–البلاغة الصوتية في بعض قصار سور القرآن الكريم ، د/ منى عبد الله علي فراج ، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بجرجا، ع ٢٣ ج ٩ ، ٢٠١٩ م وقد تناول السورَ التالية : التكاثر، القارعة ، الناس .

–البلاغة الصوتية في سورة القمر د/ تنقيب محمد ، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف– الجزائر ، ع ١ ، م ١١ ، ٢٠٢١ م .

على أن الحديث عن الدلالات الصوتية في سورة الكوثر ، قد تم تناوله في بحوث كثيرة يصعب حصرها ، فمنها ما جاء في ثنايا الحديث عن الدرس الأسلوبي واللغوي في سورة الكوثر ، مثل :

– سورة الكوثر دراسة أسلوبية ، د/ صالح إبراهيم سليمان ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية –غزة ، م ٣١ ، ع ٣ ، ٢٠٢٣ م.

– سورة الكوثر في ضوء الدراسات اللغوية والبلاغية ، د/يوسف عواد القماز ، د /فايزة عبد الرحمن الخطاطبة ، بحث منشور بمجلة كلية دار العلوم – جامعة الفيوم ، ع ٣١ ، ٢٠١٢م.

ومنها ما جاء مستقلا ، مثل :

–الدلالة الصوتية والموسيقية لسورة الكوثر دراسة تحليلية ، عادل عباس هويدي ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم والتربية – جامعة القادسية ٢٠١٥ م .

بيد أن منهجية **هذه الدراسة (البلاغة الصوتية للراء في فواصل سورة الكوثر) أحسبها تختلف عما تيسر لي الاطلاع عليه من دراسات** ، من حيث :

أولا – التركيز وتسليط الضوء على العلاقة بين دلالة الصوت الخاتم **(صوت الراء خاصة)** ، ودلالة الأساليب البلاغية في الآيات ، وهو الأمر الذي يحقق مفهوم البلاغة الصوتية للراء في فواصل السورة ، فلم تكن هذه الدراسة لمجرد الربط بين الصوت والمعنى العام للآية (وإن كان موجودا) ، ولا لمجرد الربط بمقصد السورة وجوّها العام (وإن كان موجودا هو الآخر) ؛ إذ كان ما يعني البحث أولا هو إيجاد الروابط والصلات ، ومد جسور العلاقات ، بين ما يدل عليه صوت الراء بمخرجه وصفاته ، وما يدل عليه الأسلوب البلاغي بطاقاته وقدراته .

ثانيا – جُلّ البحوث التي تيسر لي الاطلاع عليها ، كانت تتناول بعض صفات الأصوات في السورة القرآنية ، لا كلها ، وأحسبُ هذا خللا في المنهج ؛ لأن دلالات الأصوات لا تتحقق في صفة دون أخرى ، ومن ثم قامت هذه الدراسة على استقصاء الصفات الصوتية للراء جميعها، رابطة بينها وبين بلاغة الآيات البينات .

ثالثا– بعض الدراسات التي اطلعت عليها ، كانت أقرب إلى وصف الظواهر منها إلى تعليلها وتفسيرها وتحليل سر وجودها ، وهذ الإجراء كان مرفوضا في هذه الدراسة ؛ لأن الوصف وحده لا يكفي لبيان سر الإعجاز ما لم يكن مشفوعا بالتحليل والتعليل والربط بالسياق وبلاغة الآيات البينات .

رابعا – أغلب الدراسات التي اطلعتُ عليها ، كانت تُقسَّم بناء على وضع الدراسة الصوتية للآيات في جانب ، ثم المستوى التركيبي بمعزل عنه (في جانب آخر) ، وهكذا المستوى الصرفي والدلالي ، الأمر الذي يتجه بها نحو تفريق بنية النص القرآني وتوزيعه على مستويات عدة ، وهو ما خالفته هذه الدراسة إذ بُنيت على دراسة البلاغة الصوتية في كل آية كبناء متكامل متراص اللبنات ، جامعةً وموائمةً بين دلالات الصوت وبلاغة الآيات فيها .

وبعد :

فإني أستغفر الله من الخطأ أو التكلف والافتراء فيما كتبتُ ، وأسأله سبحانه الإخلاصَ والعصمةَ من الزلل والتوفيقَ فيما أردتُ ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

خطة البحث ومنهجه

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

المقدمة ، وفيها : هدف الموضوع وتساؤلاته ، ودوافعه ، وأهميته ، والدراسات السابقة حوله .

التمهيد ، وفيه :

- أولا – بين يدي سورة الكوثر .
- ثانيا –.الفاصلة القرآنية : مفهومها ، أهميتها .
- ثالثا – المقصود بالبلاغة الصوتية .
- رابعا –صوت الراء : الصفات والمخرج .

المبحث الأول : «البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الأولى ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر ﴾ »

المبحث الثاني : «البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الثانية ﴿ فصلّ لربك وانحر ﴾ »

المبحث الثالث :«البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الثالثة ﴿ إنّ شانئك هو الأبتر ﴾ »

الخاتمة ، وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات ، يليها : ثبت المصادر والمراجع .

وقد اتبع البحث كلا من : المنهج الاستنباطي والمنهج الوصفي .

وتحقق المنهج الاستنباطي بالانتقال من الكليات – الحكم بأن لكل صوت لغوي دلالة تتناسب مع بلاغة سياقه القرآني – إلى الجزئيات : أن صوت الراء في فواصل سورة الكوثر قد جاء متناغما بصفاته مع بلاغة السياق في السورة، وتحقق المنهج الوصفي من خلال تقصي تلك الصفات ووصفها ودراستها وتحليلها.

التمهيد :

أولا – بين يدي سورة الكوثر .

سورة الكوثر أقصر سور القرآن الكريم ، عدد آياتها : ثلاث آيات ، ترتيبها في المصحف : بعد سورة الماعون ، وقبل سورة الكافرون ، أما ترتيب نزولها ، فمختلف فيه بناء على الاختلاف القائم حول مكية السورة أو مدنيتها ، وقد دارت آراء العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال: (١)

الأول : مكية السورة : واعتمد القائلون بهذا على أدلة ، منها :

" قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائِل، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرجُ من المسجد، وهو يدخل، فالتَقَيا عند باب بني سَهمٍ وتحدَّثا وأُناسٌ من صناديدِ قريشٍ في المسجد جلوسٌ . فلما دخل العاصِ قالوا له: مَن الذي كنتَ تحدِّثُ ؟ قَالَ : ذاك الأبْتَر، يعني رسول الله ﷺ وكان قَدْ تُوفيَ قبل ذَلِكَ عبدُ الله ابن رسول الله ﷺ وكان مِنْ خَديجة، وكانوا يُسمُّون مَن ليس لَه ابنٌ: أبْتَر. فأنزل الله تعالى هَذِهِ السورة ... وقال عطاء عن ابن عباس: كان العاص بن وائل يمر بمحمد ﷺ ويقول: إني لأشنؤك وإنك لأبتر من الرجال، فأنزل الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾"(٢).

الثاني : مدنية السورة : واعتمد القائلون على هذا الرأي على أدلة ، منها :

عن أَنَس، قَال : بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ

---

(١) ينظر : سورة الكوثر ، تحقيق القول في زمان ومكان نزولها ، دراسة حديثية نقدية ، محمد عبد الرازق الرعود ، من ص ٢٧: ٣٣ بتصرف، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية ، مج ٥٣ ، ع ٦ ، ٢٠٠٩ م ، وينظر أيضا : تاريخ نزول القرآن ، محمد رأفت سعيد ص ١٦٧ بتصرف ، ط ١ ، دار الوفاء – المنصورة، مصر ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م

(٢) أسباب النزول ، لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري ، ١ / ٣٠٦ ، الناشر : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع .

هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ... ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُم، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ " زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ. وَقَالَ: «مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ».

يقول صاحب إتقان البرهان : " ما أخرجه الإمام مسلم وغيره من الأئمة ، هو الذي ينبغي أن يقبل ، ثم مما يزيد هذا القول ترجيحا ، ويزيد النفس اطمئنانا له، أن السورة الكريمة كما تقول الروايات نزلت في الحديبية ، ونحن نعلم مقدار ما عاناه النبي ﷺ والمسلمون في الحديبية ...والمنطلق الذي تطمئن إليه النفس أن كلتا السورتين – الفتح والكوثر – نزلتا في الحديبية بشرى للنبي عليه وآله الصلاة والسلام ، كانت سورة الفتح وعدا له بالنصر وثناء على المؤمنين معه ، وكانت سورة الكوثر بشرى للنبي ﷺ بما أعد الله له من خير ، لا في الدنيا وحدها بل في الآخرة كذلك ، والذي يزيد هذا الأمر وضوحا قوله سبحانه ﴿ فصلّ لربك وانحر﴾ وهذا أمر – أعني النحر– بعدما صدهم المشركون عن العمرة، والأبتر في السورة الكريمة هو الذي لا خير فيه ولقد صدق الله وعده " [1] .

الثالث: أنها نزلت مرتين: مرة بمكة وأخرى بالمدينة : وبُني هذا الرأي بناء على تعدد الروايات في زمان نزول السورة ومكانها .

ويظهر أنه قد ترتب على هذا الخلاف أمور ، منها :

●تفسير المراد بالنحر : فعلى الرأي بمدنيتها ، قيل المقصود هو نحر الأضاحي ، وهو مؤخر عن صلاة العيد ، بناء على الترتيب في الآية بتقديم الصلاة على النحر، وعلى الرأي بمكيتها، قيل المقصود به الإطعام عموما غير مقيد بيوم النحر .

(١) إتقان البرهان في علوم القرآن ، أد / فضل حسن عباس ، ١ / ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ط ١ ، دار الفرقان – الأردن ، ١٩٩٧ م .

●تفسير المراد بالأبتر : فعلى الرأي بمكيتها فهي نزلت في مُعيّن : العاص بن وائل ، وقيل : عقبة بن أبي معيط ، أو أبي جهل ، وعلى الرأي بمدنيتها ، فهو عام يشمل كل شانئ .

تفسير سورة الكوثر : وفي تفسير السورة الكريمة يقول الزمخشري قولا على أجمل ما يكون الوصف وأروع ما يكون الرصف : " انظر إلى العليم الحكيم كيف حذا ثلاث الآيات على عدد المسليات، من إجلال محل رسول الله وإعلاء كعبه ، وإعطائه أقصى ما يؤمله عند ربه ، ومن الإيعاز إليه أن يقبل على شأنه من أداء العبادة بالإخلاص ، وأن لا يحفل بما ورد عليه من ناحية العاص، ولا يحيد عن التفويض إليه محيدا ، فلا يذره وائبا وحيدًا ، ومن الغضب له بما فيه مسلاته من الكرب ، من إلصاق عار البتر بالكلب ، والإشعار بأنْ كان عدوّ الله بورًا ، ولم يكن إلا هو صنبورا " [١] .

●●●

ثانيا –الفاصلة القرآنية : مفهومها ، أهميتها .

و**الفاصلة** هي: " كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع"[٢] سميت الكلمة الأخيرة في الآية القرآنية بهذا الاسم ؛ تنزيها لكلام الله عما أطلق على الشعر والنثر.

وتظهر **أهميتها** فيما قاله الزركشي :" تَقَعُ الْفَاصِلَةُ عِنْدَ الِاسْتِرَاحَةِ فِي الْخِطَابِ ؛ لِتَحْسِينِ الْكَلَامِ بِهَا ، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي يُبَاينُ الْقُرْآنُ بِهَا سَائِرَ الْكَلَامِ ، وَتُسَمَّى فَوَاصِلَ ؛ لِأَنَّهُ يَنْفَصِلُ عِنْدَهَا الْكَلَامَانِ ، وذلك أن آخر الآية قد فَصْل بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا بعدها "[٣].

---

(١) إعجاز سورة الكوثر للزمخشري ، تح : حامد الخفّاف ، ص ٥٥ ، ط ١ ، دار البلاغة بيروت– لبنان ، ١٤١١ ه / ١٩٩١ م .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ١ / ٥٣ ،ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

(٣) البرهان للزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١ / ٥٤ .

ولأن إبراز الفاصلة أمر ذو أثر في تحقيق الإفهام والانسجام ، فقد كان **الوقف عليها** من متطلبات القراءة ، فالوقف على " الفعل (وانحرْ) في سورة الكوثر، ليؤكد لنا أن الوقوف بالسكون على رؤوس الآيات تتطلبه القراءة القرآنية؛ لأنه يحقق الانسجام الموسيقي " [١]

ومحل هذه الدراسة، هو : الصوت الخاتم في الفاصلة (الحرف الأخير في الكلمة الأخيرة) ، وهو ما يقابل (الروي) في الشعر وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه .

وقد قُسمت السور القرآنية باعتبار الصوت الأخير في الفاصلة إلى : سور ذوات أصوات متماثلة، أو متقاربة، أو منفردة، أو متنوعة .[٢] وسورة الكوثر محلّ الدراسة من القسم الأول، حيث ختمت كل فواصلها بصوت مماثل وهو: الراء .

●●●

ثالثا – المقصود بالبلاغة الصوتية :

قبل بيان المقصود بالبلاغة الصوتية ، يجدر بالبحث الحديث عن : دلالة الأصوات ، بمعنى أنه : هل للأصوات دلالات وإشارات ؟ وهل هي ذات لسان مفصح مبين ؟ أو أنها بكماء عَيية لا تبين شيئا ، ولا يُرجى منها شيء ، وليس لها إلا أن تتشابك مع غيرها وتنتظم في رباط ما حتى تكوّن الكلمة ، ومن ثم الجملة ، وهكذا ؟ .

تنوعت الآراء حول هذه القضية وتشعبت ، وقد كان لكل رأي رجاله ، ومِن أبرز مَن ظهروا في هذا المضمار ، علمٌ في رأسه نار ، ألا وهو : عبقري العربية

---

(١) مقال : على هدي الفواصل القرآنية ، د/ إبراهيم أنيس ، ص ١٠٨ : ١١٨ ، مجموعة البحوث والمحاضرات ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٦١ / ١٩٦٢م.

(٢) الفاصلة في القرآن د/ محمد الحسناوي ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ط ٢ ، دار عمار – عمان ، ١٤٢١ ه / ٢٠٠٠ م .

(الإمام ابن جني) ، الذي رفع بخصائصه[١] لواء العلاقة بين الصوت وما يدل عليه المعنى ، مستشهدا مُعللا مُدللا ، مُبوّبا مُقسما لكثير من الشواهد التي احتج بها [٢] ، ومؤكدا أن الوصول إلى تلك العلاقة ، لا يكون بغير الجهد والطاقة ، " فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيته من بابه ، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله ، أعطاك مقادته ، وأركبك ذروته ، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه ، وإن أنت تناكرته ، وقلت : هذا أمر منتشر ، ومذهب صعب موعر ، حرمت نفسك لذته ، وسددت عليها باب الحظوة به " [٣].

وهذا هو الرأي عند البحث ؛ إذ إن لكل صوت من أصوات العربية ، بصمته الخفية ، وهذه قضية بديهية ، طالما أن لكل صوت صفاته الخاصة ومخرجه ، الأمر الذي يضمن له الاستقلال والتميز عن غيره ، ومن ثم القدرة على أن يفصح ويبين ، حالة سنحت له الفرصة ووقع في نظم محكم متين ، وفهم هذه الدلالة متوقف على السياق ؛ لأنها تعد " نوعا من الدلالة الغائمة التي يتوقف الشعور بإيحاءاتها على السياق ... فبناء على السمات الصوتية للحرف من همس وجهر وشدة ورخاوة ...يمكننا أن نتخيل دلالة رمزية شبه وضعية لكل حرف بحسب سماته الصوتية المختلفة ، ولكننا لا يمكننا أن نفرض تلك الدلالات على النص الأدبي فرضا ؛ وذلك لأن السياق هو وحده الذي يحدد الإيحاء بدلالة الصوت " [٤]

---

(١) أعني كتابه : الخصائص .

(٢) منها على سبيل المثال لا الحصر : الفرق بين (قضم ، وخضم) أن الفعل الأول لأكل الشيء اليابس ، وذلك لشدة صوت القاف ، والثاني لأكل الشيء الرطب ، لرخاوة صوت الخاء فيه .

(٣) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ٢ / ١٦٤ ، ط ٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٤) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، د/ عبد الحميد هنداوي ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ط ١ ، الدار الثقافية للنشر–القاهرة ، ١٤٢٥ه / ٢٠٠٤ م .

وبعد هذا الموجز ، يشير البحث إلى **المقصود بالبلاغة الصوتية** إذ : " هي كل وسيلة صوتية يتحقق فيها مفهوم البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين ، فلا بد من ملاحظة أمرين :

الأول : أن نتجاوز الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه وإيقاعه واعتداله إلى ما يحدثه من إبراز المعنى وتأكيده وتسلسله وانتظامه .

الثاني : أن يتحقق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ... ومتى لاحظنا صلة ما بين الجرس والإيقاع وبين حال المتكلم أو المخاطب ، فلا ينبغي حينئذ أن نتردد في اعتبار هذا من البلاغة الصوتية " (١).

وبتحقق تلك البلاغة يتجلى الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، " نقصد بالإعجاز الصوتي للقرآن مجيئه على هيئة خاصة من جهة البناء الصوتي ، أو التشكيل الصوتي ، سواء لكلماته أو جمله وآياته ، أو على المستوى الموسيقي أو الإيقاعي في السورة بأسرها ، ومدى موافقة ذلك واتساقه وتواؤمه مع المعاني والمقاصد التي تقصد إليها السورة على نحو من المواءمة والمطابقة العجيبة التي يستبعد وقوعها في مثل كلام البشر " (٢)

●●●

(١) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، أد/ محمد إبراهيم شادي ، ص ١١ ، ط ١ ، الرسالة – القاهرة – ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨ م .

(٢) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، د/ عبد الحميد هنداوي ، ص ١٣ .

رابعا – صوت الراء : الصفات والمخرج :

مـــدخل : " لئن كان بعض أصوات الحروف العربية يماثل عظام الإنسان في قساوتها ، وبعضها يماثل عضلاته في قوتها ومرونتها ، وبعضها الآخر يماثل لحمه في ليونته وطراوته ...فإن صوت الراء من أصوات الحروف هو أشبه ما يكـــون بالمفاصل من الجسد ... إن حاجة اللغة العربية إلى حرف الراء لا تقل عن حاجـــة الجسد للمفاصل ، فلولا صوت الراء لفقدت لغتنا الكثير مـــن مرونتهـــا وحيويتهـــا وقدرتها الحركية ، ولفقدت بالتالي الكثير من رشاقتها" (١)

فما صفات صوت الراء التي جعلتـــه علـــى هـــذه الدرجـــة مـــن الأهميـــة والخصوصية ، وما مخرجه ؟ .

صفات صوت الراء :

إن لكل صوت من أصوات العربية صفاته التي تميزه عن غيره وتضمن له استقلاله وتفرده، فـــ " الصفات جمع صفة وهي في اللغة ما قام بالشيء من المعاني حسيّا كان كالبياض والصفرة والحمرة واللمس ، أو معنويّا كالعلم والأدب ، وفـــي الاصطلاح : كيفية تعرض للحرف عند النطق به كجريان النفس فـــي الحـــروف المهموسة وعدم جريانه في الحروف المجهورة " (٢).

والصفات تنقسم إلى أقسام مختلفة باعتبارات مختلفة ، **فبالنظر إلـــى أصـــالة الصفة وعرضيتها ، تنقسم الصفات إلى قسمين (٣):**

● **القسم الأول :** الصفات الأصلية (اللازمة) ، وهي : " الملازمة للحـــرف لا تفارقه بحال من الأحوال كالجهر والاستعلاء والإطباق والقلقلة " ، ويتفرع منها :

---

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، ص ٨٣ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨ م .

(٢) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، أد/ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي ، ص ٧٧ ، ط٢ ، مكتبة طيبة – المدينة المنورة .

(٣) ينظر : هداية القاري ص ٧٨ .

أولا – صفات لها ضد (ذوات الأضداد) : الجهر والهمس – الشدة والرخاوة والتوسط – الاستعلاء والاستفال – الإطباق والانفتاح – الإصمات والإذلاق .

ثانيا – صفات لا ضد لها : كالانحراف ، والتكرار ، والقلقلة ، والتفشي ، وغيرها .

●**القسم الثاني :** الصفات العرضية ، وهي : " التي تعرض للحرف في بعض الأحوال وتنفك عنه في البعض الآخر لسبب من الأسباب كالتفخيم والترقيق ، والإظهار والإدغام، والمد والقصر " .

ومن حيث قوة الصفة وضعفها " تنقسم الصفات ... إلى ثلاثة أقسام: قوية وضعيفة ومتوسطة ، فالصفات القوية إحدى عشرة صفة وهي: الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والصفير والقلقلة والانحراف والتكرير والتفشي والاستطالة والغنة ، والصفات الضعيفة ست وهي: الهمس والرخاوة والاستفال والانتفاح واللين والخفاء ، والصفات المتوسطة ثلاث وهي: الإصمات والذلاقة والبينية – أي التي بين الرخاوة والشدة–" (١).

●●●

(١) هداية القاري ص ٩٢ ، وقيل إن : الإصمات من صفات القوة ، والذلاقة والبينية من صفات الضعف ، وبذلك فالصفات تنقسم إلى : قوية وضعيفة فحسب ، ينظر : نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد ، الشيخ : محمد مكي نصر الجريسي ، ص٨٥ ، ط ٤ ، م : الآداب –القاهرة ، ١٤٣٢ ه /٢٠١١ م .

أولا – الصفات ذوات الأضداد :

حظ الراء محلّ الدراسة من صفات هذا القسم ، على ما يلي[١] : الجهر المقابل للهمس [٢]، والتوسط (البينية) بين الشدة والرخاوة[٣] ، والانفتاح المقابل

(١) ينظر في بيان هذه الصفات : التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ، بتصرف يسير ، ص٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، تح : غانم قدوري حمد ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة بيروت –لبنان ، ١٤٢١ ه /٢٠٠١ م.

(٢) الهمس : الحروف المهموسة عشرة، يجمعها قولك (سكت فحثه شخص) ومعنى الحرف المهموس أنه حرف جرى معه النفس عند النطق به، لضعفه وضعف الاعتماد عليه عند خروجه، فهو أضعف من المجهور ، الجهر : ومعنى الحرف المجهور أنه حرف قوي، منع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه، وإنما لقبت بالجهر ؛ لأن الجهر :الصوت الشديد القوي، فلما كانت في خروجها كذلك ، لقبت به؛ لأن الصوت يجهر بها . (والحروف المجهورة : ما عدا المجموعة في : سكت فحثه شخص) .

(٣) الشدة : الحروف الشديدة، وهي ثمانية أحرف يجمعها قولك (أجدت كقطب) ، ومعنى الحرف الشديد : أنه حرف اشتد لزومه لموضعه، وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به ... وإنما لقبت بالشدة لاشتداد الحرف في مخرجه حتى لا يخرج معه صوت ، ألا ترى أنك تقول في الحرف الشديد: (أجْ – أتْ) فلا يجري الصوت مع الجيم والتاء، وكذا أخواتها. الرخاوة : ومعنى الرخو أنه حرف ضعف الاعتماد عليه عند النطق به فجرى معه الصوت، فهو أضعف من الشديد، ألا ترى أنك تقول: (أسْ – أشْ) فجرى الصوت معهما، وكذلك أخواتها ، وإنما لقبت بالرخوة لأن الرخاوة اللين، واللين ضد الشدة. (والحروف الرخوة : ما عدا الحروف الشديدة المجموعة في أجدت كقطب: ، والمتوسطة المجموعة في : لن عمر) .والتوسط: " أي بين الشدة والرخو ، معناه في اللغة : الاعتدال ، وفي الاصطلاح: كون الحرف بين الصفتين (أي بين صفة الشدة وصفة الرخو ...) بحيث يكون عند النطق به ينحبس بعض الصوت معه ، ويجري بعضه ؛ ولذا سمي متوسطا ، وحروفه خمسة ... (لن عمر) وهي اللام والنون والعين والميم والراء " هداية القاري للمرصفي ص ٨١ .

للإطباق[١] ، والاستعلاء المقابل للاستفال (وفيه تفصيل مهم في آخر التمهيد)[٢] ، والذلاقة المقابلة للإصمات [٣] . .

ثانيا – الصفات التي لا ضد لها :

أما عن الصفات التي لا ضد لها ، فحظ الراء منها ، صفتا : التكرار والانحراف .

التكرير : الحرف المكرر، وهو الراء، سمي بذلك لأنه يتكرر على اللسان عند النطق به، كأن طرف اللسان يرتعد به، وأظهر ما يكون إذا اشتدت.

---

(١) الإطباق: حروف الإطباق أربعة أحرف: الطاء والظاء والصاد والضاد، سميت بذلك لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، مع انحصار الريح بين اللسان والحنك .الانفتاح : الحروف المنفتحة، وهي ما عدا حروف الإطباق، وسميت بالمنفتحة لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا ينحصر الريح بين اللسان والحنك، بل ينفتح ما بينهما ويخرج الريح عند النطق بها.

(٢) الاستعلاء : حروف الاستعلاء سبعة (مجموعة في : خص ضغط قظ)... وسميت بذلك لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك .الاستفال: الحروف المستفلة، وهي ما عدا المستعلية، سميت مستفلة لأن اللسان يستفل بها إلى قاع الفم عند النطق بها . وسبب إدخال صوت الراء محلّ الدراسة في زمرة حروف الاستعلاء ، مذكور في آخر التمهيد تحت عنوان : تتمة مهمة.

(٣) الإصمات : ومعنى المصمتة ... أنها حروف أصمتت أي : منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب إذا كثرت حروفها، لاعتياصها على اللسان، فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة أكثر من ثلاثة أحرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، فمعنى المصمتة : الممنوعة من أن تكون منفردة في كلمة طويلة، من قولهم: صمت إذا منع نفسه الكلام. الإذلاق : ومعنى الحروف المذلقة... أنها حروف عملها وخروجها من طرف اللسان وما يليه من الشفتين، وطرف كل شيء ذلقه، فسميت بذلك إذ هي من طرف اللسان، وهو ذلقه، وهي أخف الحروف على اللسان وأكثر امتزاجا بغيرها، وهي ستة أحرف: ... يجمع الستة هجاءً قولك (فر من لب) ، فهذه الستة هي المذلقة، والمصمتة ما عداها من الحروف.

الانحراف: حرفا الانحراف، وهما الراء واللام، سميتا بذلك لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما، وعن صفتهما إلى صفة غيرهما ، ومن ثم تُوضح صفة الانحراف بأنها "ميل صوت الحرف لعدم كمال جريانه بسبب اعتراض اللسان طريقه ، وحرفاه اللام والراء ... أما الراء فبالعكس ينحرف الصوت بها من جانبي طرف اللسان إلى وسطه " (١) .

ثالثا – الصفات العرضية :

أما الصفات العرضية ، فيعرض للراء في آي الكوثر منها : التفخيم والترقيق .

التفخيم: "التفخيم معناه في اللغة التسمين. وفي الاصطلاح هو عبارة عن تسمين الحرف بجعله في المخرج جسيمًا سميناً ، وفي الصفة قويًّا ويرادفه التغليظ ، إلا أن التفخيم غلب استعماله في الراءات ، والتغليظ غلب استعماله في بعض اللامات.

الترقيق: والترقيق ضدهما وهو في اللغة: التنحيف ، وفي الاصطلاح هو : عبارة عن تنحيف الحرف بجعله في المخرج نحيفاً وفي الصفة ضعيفاً .

والحروف الهجائية بالنسبة للتفخيم والترقيق ثلاثة أقسام:

الأول: ما يفخم قولًا واحدا بدون استثناء شيء منها ، الثاني: ما يرقق قولا واحدا بدون استثناء شيء منها كذلك ، الثالث: ما يرقق تارة ويفخم أخرى لسبب من الأسباب " (٢) ، والراء من القسم الثالث ، إذ يعتريها التفخيم والترقيق ، ولكلٍّ سببه، وقد فصّلت كتب التجويد والأصوات مواضع كلٍّ (٣) ، والراء في ختام آي الكوثر مفخمة وقفا ووصلا في الآيات الثلاث ، ما عدا الآية الثانية فهي مرققة وصلا ﴿ وانْحَرِ * إنّ شانئك ﴾ .

---

(١) شرح منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه للإمام العلامة ابن الجزري ، شرح الشيخ الدكتور/أيمن سويد ، جمع وتقديم : ليلى نبيه نبهان ص ٥٢ ، د.ت .

(٢) هداية القاري للمرصفي ص ١٠٣ .

(٣) ينظر : هداية القاري للمرصفي ص ١٢١ وما بعدها .

- **تتمة مهمة :**

الحكم على صوت الراء بالتفخيم أو الترقيق ، له أثر واضح ودور بارز في الحكم على غيره من الصفات ، ويتجلى ذلك خصيصا مع صفتي :

-**الاستعلاء والاستفال** : فكما هو واضح مما سبق أن حروف الاستعلاء مجموعة في (خص ضغط قظ) ، والاستفال ما عدا ذلك من الحروف ، وهو الأمر المستقر عند علماء التجويد والأصوات ، وهو ما يعني أن صوت (الراء) من حروف الاستفال .

بيد أن هذا القول غير مطرد ؛ **إذ إن الراء المفخمة تعد من حروف الاستعلاء** ، وقد ألمح لذلك ابن الجزري في تمهيده قائلا : " وأما الراء ... ضارعت – شابهت – بتفخيمها الحروف المستعلية " (١) ، وجزم المرعشي باستعلائها قائلا :" أقول : الظاهر أنهما – الراء واللام – في حالتي تفخيمهما من الحروف المستعلية " (٢) ، **وهذا الرأي هو ما يتبناه البحث** ؛إذ هو الأقرب للصواب ، والله أعلى وأعلم .

-**الإطباق والانفتاح** : وقد أثّر القول بتفخيم الراء على صفتي : الإطباق والانفتاح أيضا ؛ فكما هو واضح أن الراء من الأصوات المنفتحة ، غير أن د/ إبراهيم أنيس جعل الراء المفخمة من حروف الإطباق ، حيث يقول : "الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق"(٣) .

غير أن البحث لا يتجه هذا الاتجاه ، ويرى أن الراء المفخمة تعد من حروف الانفتاح ، " وتتصف الراء بالانفتاح فعند النطق بها ينفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى ليخرج الهواء من بينهما عند النطق بها ، **والراء المفخمة التي يعدها بعض**

---

(١) التمهيد في علم التجويد ، ص ١٣٤ .

(٢) جهد المقل لمحمد بن أبي بكر المرعشي ، تح : د/سالم قدوري الحمد ، ص ١٥١ ، ط ٢ ، دار عمار الأردن ،١٤٢٩ ه / ٢٠٠٨م .

(٣) الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ، ص ٥٧ ، مطبعة نهضة مصر .

العلماء من حروف الاستعلاء تعد منفتحة كذلك ؛ لأن الانفتاح أعم من الاستفال ؛ إذ كل مستفل منفتح ، وليس كل منفتح مستفل " (١).

●●●

مخرج صوت الراء:

مخرج الصوت في أظهر تعريفاته ، هو : الموضع الذي ينقطع فيه الصوت ، وصوت الراء يخرج من طرف اللسان مع اللثة العليا ، " وأما الراء ... تخرج من المخرج السابع من مخارج الفم ، وهو ما بين طرف اللسان [وفويق الثنايا العليا، وهي أدخل في طرف اللسان] قليلا من النون، وفيها انحراف إلى مخرج اللام " (٢) .

(١) دراسة صوتية للراء في ضوء القراءات القرآنية د /مصطفى زكي التوني ص ٧٠ مجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة العدد(٢٠).

(٢) التمهيد في علم التجويد ص ١٣٤ .

مدخل:

بدأت السورة بهذا الاستهلال ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ وفيه من القوة المصحوبة بحنو الجبر وأُنس الجبّار ما فيه ، فالله ﷻ بقدرته وقوته قد أعطاك أيها النبي تلك العطية العظيمة، وقد تعددت الآراء في بيان المقصود بالكوثر ، فقيل : النبوة ، والقرآن ، والخير الكثير ، وكثرة الأتباع ، غير أن تلك التفاسير تقف صامتة أمام ما فسر به النبيُ ﷺ الكوثرَ بأنه النهر الذي في الجنة .

ثم تأتي الآية الثانية ﴿فصلّ لربك وانحر﴾ وكأنها تسلية من نوع آخر ، تأمره ﷺ بالمسارعة والمبادرة إلى شكر النعمة ، حتى ينسيه الانشغال بالشكر ما يكون قد ألمّ بقلبه من ألمٍ وجرح نكأه المشركون بكلامهم ؛ إذ الانشغال بذكر النعم حال نزول النقم له عظيم الأثر في التصبر والتسلية ، وقد كان في طريقة الشكر المأمور بها ، ما يرد كيد الأعداء ويغيظهم ، وذلك عن طريق الاستمرار والمواظبة والإعلان والجهر بدوام الصلة بالمنعم (الصلاة) ، ليس هذا فحسب بل والتفاعل مع مقتضيات النبوة وما تستلزمه من إيصال الخير للغير (وانحر) ، فالآية الثانية تأمره ﷺ أن يظل متمسكا بصلته بالله ﷻ والإحسان إلى عباده مبتغيا بذلك وجه الله، وكأن القلب لم يحزن ولم يعرف له الألم سبيلا .

وبعد تمام الجبر بالتبشير ، والحث على الانشغال بالشكر ، تأتي الآية الثالثة مستأنفة عما قبلها ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ وفيها ما يوحي بالشدة في توعدهم والقوة في وعيدهم ، أي : لك الكوثر جبرا وعطاء فبادر بالشكر واشغل نفسك به ، ولا تلتفت لقولهم فما نعتوك به ، سيكون مصيرا لهم ، ومن ثم ففي الآية اتفاق مع ما قبلها من جانب الوعد بالتبشير له ﷺ وفيها افتراق بتوعدهم بأن البتر سيكون حظهم ونصيبهم .

وتأتي الراء في ختام الآيات الكريمات على مسمعه الشريف بجرسها لتظاهر الدلالة وتعاضدها في جبره ﷺ والتسرية عنه ، وكأنها بما فيها من صفات وما تمتلك من طاقات وقدرات ، خيرُ مصدقٍ وأصدقُ شاهد على مضمون كل آية ، إذ

جاءت لتختزل ما سبقها من معاني ، وتكتنز ما قبلها من دلالات ، وتردد بجرسها في الأذن كل ما شملته الآيات ، من وعد وتبشير ، ووعيد وتحقير ، ولتكون الصوت الخاتم الذي استطاع أن يضم معاني الآيات وينسجم مع بلاغة العبارات .

ولم يكن في هذا السياق موضع لتغيير خواتيم الفواصل ؛ إذ السياق سياق تسلية وتسرية وجبر وترويح لا يناسبه صدمة تغيير الصوت الخاتم ، ولا التنوع الإيقاعي المؤذن بنغمته المخالفة ، عن التنبيه واللفت .

المبحث الأول :

« البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الأولى ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر ﴾ »

يطلّ المشهد الأول من مشاهد السورة الكريمة ، مُفعما بالقوة مليئا بالهيبة ، إذ يُستهل بـ (إنّ) التوكيدية ، يليها أسلوب القصر الناتج عن تقديم المسند إليه (ضمير العظمة) على الخبر الفعلي (أعطيناك) في : (إنّا أعطيناك) ، بدلا من : أعطيناك الكوثر ، حيث قُصر هذا الإعطاء على الله ﷻ ، إذ إنه إعطاء لا يكون إلا من الله ﷻ ، ولا يقدر على مثله إلا هو سبحانه [١] ، وفضلا عن دلالة القصر على الحصر والاختصاص المؤذن بالعظمة والفخامة ، ففيه ما يدل على تقوية الكلام وتوكيده ،" ولا مزاحمة بين التقوية والاختصاص " [٢] ، هذا كلّه بصحبة التوكيد المنبعث من اسمية الجملة نفسها [٣]؛ يجعل البداية بداية مهيبة، فيها من القوة والهيبة

---

(١) كما في قولهم : محمد يعطي الذهب ، فليس المقصود مطلق عطاء ، وإنما المقصود قصر إعطاء الذهب والجود به على المسند إليه المقدم ، دلالة على تفرده بهذا النوع من العطاء .

(٢) دلالات التراكيب [دراسة بلاغية] ، أ.د/ محمد محمد أبو موسى ، ص ١٧٨ ، ط ٤ ، م: وهبة بالقاهرة ، ١٤٢٩ه / ٢٠٠٨م.

ـ يقول **الإمام عبد القاهر** : " فإن قلتَ: فمن أينَ وجَبَ أن يكونَ تقديمُ ذِكْر المحدّثِ عنه بالفعل، آكَدَ لإثباتِ ذلك الفعلِ له ... ذلك من أَجْل أنه لا يُؤتى بالاسم مُعَرَّى من العوامل إلاَّ لحديثٍ قد نُويَ إسنادُه إليه، وإذا كان كذلك، فإذا قلت: (عبد الله)، فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردتَ الحديثَ عنه، فإذا جئتَ بالحديث فقلت مثلا : "قامَ" أو قلتَ: "خرجَ"، أو قلتَ: "قَدِمَ" فقد عُلم ما جئتَ به وقد وطَّأْتَ له وقدَّمتَ الإعلام فيه، فدخلَ على القلب دُخولَ المأنوسِ به، وقبله قبول المهيأ له المطمئن إليه، وذلك لا محالة أشد لثبوته... وجملةُ الأمر أنه ليس إعلامُك الشيءَ بغتةً غفلًا، مثْل إعلامِك له بعد التنبيه عليه والتقدمةِ له، لأنَّ ذلك يَجْري مَجْرى تكريرِ الإعلام في التأكيد والإحكام " دلائل الإعجاز في علم المعاني، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تح : الشيخ/ محمود شاكر، ص ١٣٢ ، ط: ٣ ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٣) والتوكيد مفاد من الجملة الاسمية ذات الخبر الفعلي الماضي ، ينظر: التوكيد بالجملة الاسمية دراسة بلاغية د/ بلقيس بنت محمد الطيب ص ٣٤٣ بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية والعربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس محرم ١٤٢٩/ ٢٠٠٩ م .

ما فيها ؛ إذ إن الذي يؤكد ذلك هو الله ﷻ ، والمخاطب ﷺ ليس في مقام من يؤكَّد له الكلام وجوبا أو استحسانا [١]، وإنما جاء هذا التوكيد في صحبة التبشير ؛ ليكون أعظم وأفخم وأقوى في تسلية النبي ﷺ والتسرية عنه، وما ذلك إلا لرفعة منزلته وعلو قدره ﷺ ؛ إذ التوكيد ها هنا " لتقرير المعنى في نفس المخاطب وتثبيته وإن كانت خالية من كل أثر للإنكار أو الشك "[٢] ، وأُردف هذا التوكيد بتعريف المتعلق (المفعول به الأول) بضمير الخطاب (والمفعول به الثاني : الكوثر) بأل ؛ للدلالة على كمال الخيرية فيه .

وقد تعاضدت هذه الأساليب في الدلالة على قدرة المُعطي وجلاله وهيبته ، وكذلك على فضل المُعطىﷺ وشرفه وعظمته، إضافة إلى فخامة العطاء وكثرته .

يقول الزمخشري واصفا تلك البلاغة العالية بنظم مصوغ من الدرر الغالية :" وتأمل كيف أن من أُسند إليه إسداء هذه العطيّة ، وإيتاء هذه الموهبة السنيّة ، هو ملك السماوات والأرض ، ومالك البسط والقبض ، وكيف وسّع العطية وكثرها ، وأسبغها ووفرها ...ثم تبصّر كيف نكت في كل شيء تنكيتا ، يترك المنطيق سكيتا، حيث بنى الفعل على المبتدأ فدل على الخصوصية ، وجمع ضمير المتكلم فأذن بعظم الربوبية " [٣] .

وقد استقرت هذه المعاني ، ووضعت أسرار إعجازها عند صوت (الراء) ، الذي كان أقدر الأصوات تمكنا من استيعاب تلك الدلالات ، وأقواها تناغما مع مقصد الآية الكريمة ؛ ذلك لما يتصف به من طاقات صوتية ، جعلته وجها من وجوه الإعجاز في آيات سورة الكوثر ، الأمر الذي يدل على أنّ اختيار صوت

---

(١) الأول للمنكر ، والثاني للمتردد .

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ،أد/ محمد أبو موسى، ص ٤١٣ ، ٤١٤ ، ط ٢ ، م:وهبة، ١٤٠٨ ه / ١٩٨٨ م .

(٣) إعجاز سورة الكوثر للزمخشري ص ٥٦ ، ٥٧ .

الراء عينه ليكون الصوت الخاتم الذي تنتهي عنده كل آية من آيات الكوثر ، أمرٌ له من الأسرار ما يتطلب مَنْ يسبر الأغوار .

وأول ما يتجلى من صفات الراء : **صفة الجهر** ، والسؤال الذي يفرض نفسه : ما علاقة هذه الصفة بمعاني الآية الكريمة ؟ وكيف تناغم الإعجاز البلاغي مع الإعجاز الصوتي للراء المجهورة فيها ؟.

يتضح الجواب في أن الصوت المجهور صوتٌ متمكن فيه قوة ووضوح ؛ نتيجة الجهد المبذول عند النطق به بسبب اهتزاز الوترين الصوتيين وانحباس النفس معه ، الأمر الذي ترتب عليه وضوح الصوت في السمع، " فالمجهور أوضح في السمع من مقابله المهموس "(١)، هذا الوضوح السمعي ، الناتج عن قوة الصوت عند خروجه ، قد تماهى مع القوة المنبعثة من أسلوب التأكيد الذي جاء تارة بالأداة (إنّ) ، وأخرى مفادا من اسمية الجملة، وأسلوب القصر؛ إذ التأكيد جهر بالمعنى وإبراز له وتجلية لأثره ، ومن هنا يظهر التلاؤم والتناغم بين بلاغة الأسلوب والدلالة الصوتية للراء ، ليُظهِر في النهاية هذا التناغمُ قوةَ ذلك الإعطاء ، فهو من الله ﷻ.

ولم تكن صفة الجهر محلا للراء فحسب ، وإنما غلبت على أصوات الآية الكريمة ، حيث " نجد أن أغلب الأصوات الواردة في هذه الآية قد غلب عليها صفات الجهر وهذا مما زاد من وضوح الأصوات ، وبالنتيجة أظهرت الوزن الموسيقي بأبهى صورة له من حيث وضوحه وأثره في السمع " (٢).

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٦ / ٨٣ ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر – بيروت (د.ت) .

(٢) الأنساق الدلالية للصوت اللغوي (بحوث تطبيقية في القرآن الكريم) د/ عادل عباس النصراوي ، ص ١٨ –١٩ ،تموز للطباعة والنشر والتوزيع – ٢٠١٦ م .

وقد وَصف صاحبُ الكوثر ﷺ الكوثرَ بأنه : " أشد بياضا من اللبن ، أحلى من العسل ، أبرد من الثلج" [١]، وهذا من باب تبيين القرآن بالسنة ، وهو أحد وجوه العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية ،.وقد تناغمت قوة الجهر في صوت الراء، مع قوة الدلالة في أفعل التفضيل (أشدّ بياضا ، أحلى ، أبرد) ؛ حيث إن أفعل التفضيل يشير إلى الاشتراك في الصفة مع زيادة أحد المتفاضلين على الآخر فيها، هذه الزيادة بما فيها من دلالة على قوة الصفة في الموصوف ، تتماهى مع قوة الراء المجهورة .

ومن ثم فقد انسجم في هذا السياق التعبير بالماضي (أعطيناك) بدلا من المضارع الدال على الاستقبال (سنعطيك) إذ حقيقة الإعطاء إنما تكون يوم القيامة ؛ " تنبيها على تحقق وقوعه ، وأن ما هو للوقوع كالواقع " [٢]، وذلك من باب قوله تعالى : ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ ؛ وسر العدول : الدلالة على تحقق الحصول وصدق الوصول ، " وفي هذا تمكين لليقين بأن كل ما أخبر الله تعالى أنه سيكون هو لا محالة كائن ، وهذا يعين القلب على **استطعام** اليقين بوعد الله تعالى " [٣] وكأن الماضي في الآية جاء ليزيح عن قلبه الشريف ألم الماضي من أقوال السفهاء،

---

(١) " سُئل رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ – : ما الكوثرُ ؟ قال : نهرٌ أعطانيه اللهُ – يعني : في الجنة – أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسلِ ..." رواه أنس بن مالك ﷺ بإسناد حسن ، لمَّا أُنزِلَتْ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)، قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "هو نَهَرٌ في الجَنَّةِ، حافَتاه من ذَهَبٍ، يَجْرِي على جَنادِلِ الدُّرِّ والياقوتِ، شَرابُه أحْلَى من العَسَلِ، وأشَدُّ بَياضًا من اللَّبَنِ، وأبْرَدُ من الثَّلْجِ، وأطْيَبُ من ريحِ المِسكِ" ،رواه عبد الله بن عمر ﷺ وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ١١٤٠٧ .

(٢) الإيضاح مع البغية ، للخطيب القزويني ، تح / الشيخ عبد المتعال الصعيدي ،١/ ١٤٧ ط ١، م الآداب –القاهرة ، ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م

(٣) علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى ، كتبه وعلق حواشيه أد / محمود توفيق محمد سعد ، والنص المذكور له، هامش ص ٣٩٦ ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، ٢٠١٩ م .

وجعله يستطعم هذا العطاء ، وفي هذا ما فيه من التثبيت والتقوية، والتبشير والتسرية .

فالنبي ﷺ لما فقد بموت أبنائه ، وصلَهم له ، فقد عوّضه الله تعالى بما هو أجلّ وأعظم وأسمى وأفخم ، ألا وهو : وَصْلُ اللهِ ﷻ له – عليه الصلاة والسلام ، فالحق – تبارك وتعالى– يسري عن نبيه ﷺ بأنه وإن حُرم وصل أبنائه ، فها هو الله ﷻ بقوته وعظمته قد وصله وأعطاه ما لا يقدر أحدٌ أن يعطيه أحدا ، ولذا كان الفعل الماضي (أعطيناك) في هذا السياق على أتم ما يكون الوجود، وأكمل ما يكون الموجود ، ولم يكن ليحل محله المضارع المسبوق بالتسويف في سورة الضحى ﴿ ولسوف يعطيك ربك﴾ .

وها هنا تَظهر دلالةُ الراء المجهورة في التناغي مع التبشير بالإعطاء عن طريق الفعل الماضي، في إشارة إلى قوة تحققه ، وكأنه أمر قد وقع وظهر جليًّا ، وبات واضحا مرئيًّا .

●●●

والتكرار سمة بارزة في هذه الآية الكريمة ، فمن تكرار التوكيد بأداته تارة ، وإفادته بالفحوى من الجملة الاسمية وأسلوب القصر تارة أخرى، إلى تكرار الإسناد في (إنّا أعطيناك) وما صاحبه من ترديد لضمير العظمة (نا) المفعم بالعظمة والهيبة ، وما فيه من تكرار لصوت النون ؛ لهو أمر يناسب صفة أخرى من صفات الراء، ألا وهي **صفة : التكرير** ، حيث يرتعد طرف اللسان مكررا الصوت عند النطق به ، ليعبر المشهد عن تكرار الخير وكثرته وتردده ووفرته في كوثره ﷺ ، وهو ما أفصحت عنه الأحاديث النبوية الشريفة ،" والراء صوت مكرر لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في أثناء النطق بها كأنهما يطرق اللسان حافة الحنك طرقا يسيرا مرتين أو ثلاثا لتتكون الراء العربية"(١).

(١) الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ٥٧ ، ٥٨ .

وليس ببعيد عن هذا السياق ، أن تأتي الراء ها هنا **صوتا مفخما** وقفا ووصلا، حيث يعتريها السّمن فيمتلئ الفم بصداها ، هذه الفخامة في الأداء الصوتي، لهي صدى لهالة القداسة المحيطة بالمسند إليه (ضمير العظمة) ، الذي يقع على الأسماع مصحوبا بغنّة النون، وما فيها من " الضغط والارتكاز الذي يشبه الإصرار على تأكيد المعنى وتثبيته لدى السامع " [١] يليها مد الصوت ومطّه ، لوقوع المد المنفصل بين (إنا) و(أعطيناك) ، وهو مدّ منبئ عن العظمة والهيبة ، المؤذنة بجلال المعنى وسناه وفخامته ، ثم تخرج الهمزة مصحوبة بجرسها المجهور الشديد، تليها العين المجهورة ، تردفها الطاء المفخمة باستعلائها وإطباقها ، كل هذا في سياق متتابع متسلسل تحكمه القوة والفخامة والأبهة والرفعة ، التي تصور عظمة المعطي ﷻ وبهاء المُعطى ﷺ وسناء العطية .

وإن البناء التركيبي للآية الكريمة ليعاضد هذه الفخامة ؛ إذ وقعت الجملة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ جملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب ، فلا يحل المفرد محلها ولا تقع في محل رفع أو نصب أو جر أو جزم ؛ وهو ما يجعلها عَصيّة على الاستبدال ، فلا يحل محلَّها غيرُها ، ولا تتقيد بحكم نحوي معين ، ومن ثم ففيها من الهيبة التركيبية ما يناغم فخامة المعنى .

والتفخيم مستحَق الاستعلاء ، ومن ثم تجدر الإشارة ها هنا إلى **صفة الاستعلاء** في الراء[٢]، حيث يتصعد الصوت عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، وما ينتج عن هذا من قوة في الأداء الصوتي ، لهو أثر من آثار قوة الأسلوب المعبر به ، والمعنى المعبر عنه .

وكأن صفات القوة في الراء من : جهر وتكرير واستعلاء وتفخيم ، وأساليب القوة: من تأكيد وقصر وتكرير وعدول إلى الفعل الماضي ، جاءت عوضا وجبرا عما يكون قد اعترى قلبَه الشريف ﷺ من ضعف وحزن وألم مما قاله المشركون ،

(١) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، د/ هنداوي ، ص ٣٩ .

(٢) ينظر : تتمة مهمة ، في تمهيد هذا البحث .

" وهذا الأساس الذي اتخذه القدماء مناطا للحكم على قوة الصوت أو ضعفه مبني على الأساس الفسيولوجي في عملية نطق الأصوات وعلى كثرة الذبذبات الحركية في النطق ...فاهتزاز الوترين الصوتيين أثناء النطق بالأصوات المجهورة ... يعد جهدا عضليا بإزاء عدم اهتزازهما ؛ لذا كان الجهر صفة من صفات القوة ...والاستعلاء يحتاج إلى جهد عضلي أكبر في تحقيقه من الاستفال ... والتكرير الذي يتسم به الراء يتطلب جهدا عضليا كبيرا " (١)

●●●

والعطية المبشر بها هي الكوثر ، وبالكوثر سُميت السورة الكريمة ، وفي تفسير معنى الكوثر أقوال كثيرة ، والذي يتبناه البحث منها ، هو ما صرح به صاحبُ الكوثر ﷺ نفسُه ، فقد "سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : ما الكوثَرُ ؟ قالَ : ذاكَ نَهْرٌ أعطانيهِ اللَّهُ ، يعني : في الجنَّةِ " (٢) ، وفيه قيل إنّ الكوثر : اسم علم على النهر الذي في الجنة ، وقيل : صفة لموصوف محذوف ، أي : نهر الكوثر، وعليه فـ (كوثر) على (فوعل) إما أن يكون اسما جامدا ككوكب ، أو صفة ؛ للدلالة على الخير الكثير المفرط (٣)، والتعريف فيه دلالة على اكتمال خيريته وتمام فضله ، حيث جيء " بهذه الصفة مُصدّرة باللام المعرفة ، لتكون لما يوصف بها شاملة ، وفي إعطاء معنى الكثرة كاملة"(٤)، وهو ما لم يكن ليظهر على الدرجة نفسها مع تنكير المتعلق (المفعول به الثاني) ، كما لو قيل : إنا أعطيناك كوثرا .

---

(١) دلالة الأصوات المجهورة في خاتمة فواصل سورة البروج ، أد/ سوسن حسانين الهدهد ، ص ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود .

(٢) رواه : أنس ابن مالك ، أخرجه الترمذي (٢٥٤٢) ، حسن صحيح .

(٣) ينظر التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للطاهر بن عاشور ٥٧٠/٣٠ – ٥٧١ ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ

(٤) إعجاز سورة الكوثر للزمخشري ص ٥٧ .

وأصل النهر في اللغة : " النُّونُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَفَتُّحِ شَيْءٍ أَوْ فَتْحِهِ. وَأَنْهَرْتُ الدَّمَ: فَتَحْتُهُ وَأَرْسَلْتُهُ. وَسُمِّيَ النَّهْرَ لِأَنَّهُ يَنْهَرُ الْأَرْضَ **أَيْ: يَشُقُّهَا**."(١) .

وإن لهذه الدلالة اللغوية تناسبًا مع صفحة **الانحراف** في صوت الراء ؛ ذلك لأن الأداء الصوتي للنطق بالراء المنحرفة يتحقق عندما يتقعر اللسان ويصطدم بغار الحنك طرفُ اللسان من الأمام " ويبقى في وسطه **فجوة** بسيطة ...فينحرف الصوت من يمين ويسار اللسان وينحرف للوسط ليخرج من **الفجوة** " (٢) هذه الفجوة (الممر الصوتي الذي يحدث عند النطق بالراء) ، لهي ذات قربى بذلك الشقّ (الممر النهري) الذي تدل عليه الكلمة لغويًّا ، وكأن الراء بانحرافها جاءت من باب مضاهاة الصورة الصوتية للصورة المرئية ، الأمر الذي بدوره يجعل صورة ذلك النهر ماثلة للعين ، وما حضر أمام العين استحضره القلبُ ووعاه ، ومن ثم يكون هذا الاستحواذ على نفسه الشريفة ﷺ، أمرا من شأنه أن يصرف الأحزان عن قلبه.

●●●

وإنه لينسجم مع تلك الخيرية المطلقة للكوثر ، صفة **الانفتاح** في الراء ، وتتحقق هذه الصفة بـ "انفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف فلا ينحصر الصوت بينهما" (٣) ومن ثم ترسم تلك الصفةُ في المخيلة صورةَ جريان ماء النهر بانسيابية واسترسال ، هو أشبه ترجمة لصورة اللسان عند النطق بالحرف المنفتح ، وإن هذه الانسيابية المفادة من انفتاح الراء ، يمكن استقراؤها من خلال ما وُصف به نهر الكوثر في الأحاديث النبوية ؛ إذ هو من السمعيات التي لا يستطيع أحد معرفتها إلا بالنقل .

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (نهر) .

(٢) شرح منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه للإمام العلامة ابن الجزري ، شرح الشيخ الدكتور/أيمن سويد، ص ٤١ .

(٣) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص ٨٢ .

ومن ثم كان صوت الراء بانفتاحه أقدر تعبيرا عن رسم صورة نهر الكوثر في المخيلة ، من ضده (المُطْبق) الذي هو أقرب لتصوير الماء الهائج المرتفع ؛ إذ يكاد اللسان معه أن ينطبق علي الحنك الأعلى، وينحصر الهواء بين اللسان والحنك انحصارًا يخرج معه الصوت قويا (١) .

وفي هذا السياق ما يتناغى مع ما تتصف به الراء من **بينيـــة وتوســـط** ، " والتوسط ... كون الحرف بين الصفتين – أي : بين صفة الشدة وصفة الرخاوة – بحيث يكون عند النطق به ينحبس بعض الصوت معه ، ويجري بعضه ، ولذا سمي متوسطا " (٢) ، الأمر الذي يعبر عن الهدوء المصاحب للنطق به ، فلـــيس فيـــه صخب الانفجاري الشديد(٣)، ولا حفيف الاحتكاكي الرخو (٤)، فهو متوسط معتدل بين هذا وذاك .

يخرج صوت الراء في تؤدة وهدوء وانسجام ، بعيدا عن الشديد الانفجـــاري وضجّته(٥)، والرخو الاحتكاكي وجلبته (٦)، تلك الصورة الصوتية تضاهي ماء النهر

---

(١) قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود ، تأليف عبد العزيز عبد الفتاح القاري ، ص٤٣ بتصرف ، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

(٢) هداية القاري ص ٨٠ .

(٣) تتحقق صفة الشدة بانحباس الصوت بسبب الانغلاق التام للمخرج ، وبعد انفصال عضوي النطق يخرج صوت يشبه الانفجار ، لذلك أطلق المحدثون على أصواتها " الأصوات الانفجارية "، وحروفها مجموعة في : أجد قط بكت.

(٤) وتتحقق صفة الرخاوة بجريان الصوت وانفتاح المخرج ، وأطلق المحدثون على أصواتها " الأصوات الاحتكاكية " لحدوث حفيف في عضوي النطق يشبه الاحتكاك ، وحروفها : ما عدا حروف الشدة (أجد قط بكت) ، والتوسط (لن عمر) .

(٥) لو تُخيل الصوت الشديد في سياق مقارب ، لأشبه الماء المحبوس خلف سدّ من السدود ، إذا ما فُتح السدّ انطلق الماء منفجرا كالطوفان .

(٦) لو تُخيل الصوت الرخو في سياق مقارب ، لأشبه الماء الجاري في قوة واندفاع يصحبه صوت تلاحق أمواجه وتتابعها واحتكاكها.

في حركته ، والتي تعبر عن كمال عظمته وتمام خيريته ، حيث يمر " الهواء **دون أن يحدث أي نوع من الصفير أو الحفيف** ، ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء ، ولعل هذا هو الذي دعا القدماء إلى تسمية هذه الأصوات الأربعة بالأصوات المتوسطة، أي التي ليست انفجارية ولا احتكاكية " (١)

هذا الجو المفعم بالاستقرار والانسجام والهدوء ، يتماهى مع **الأسلوب الخبري** الذي وردت عليه الآية الكريمة ؛ إذ كان الأقدر على احتواء دلالاتها وضم معانيها ، " وإذا كان الخبر يمثل اللغة في جانبها القار (المستقر)، فإن الإنشاء يمثلها في جانبها المتحرك ، فالأساليب الإنشائية طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء ، أم غير طلبية كالتعجب والمدح والذم والقسم ، أبرز مظاهر اللغة التي تعرب عن حيويتها " (٢) .

وإنه ليتناغم مع خبرية الأسلوب ، هذا الإيقاع المتزن الهادئ، حيث جاءت الآية الكريمة على إيقاع المتحرك والساكن (/٥) ، فإيقاع الآية الكريمة وجرسها ، إيقاع متزن هادئ مستقر لا إلى صخب الحركة ولا إلى جمود الساكن ، بل هو في منطقة الاعتدال والبينية ، وإن هذا ليناسب ما حملته هذه السورة الكريمة من تسلية النبي ﷺ والتسرية عنه .

●●●

(١) الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ص ٢٦ .

(٢) خصائص الأسلوب في الشوقيات ، د/محمد الهادي الطرابلسي ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، الرسمية للجمهورية التونسية ، ١٩٨١م.

فإن قيل : لماذا عبرت الآية الكريمة بالإعطاء دون الإتيان ؟ ، " وَظَهَرَ لِي بَيْنَهُمَا فَرْقٌ انْبَنَى عَلَيْهِ بَلَاغَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَنَّ **الْإِتْيَانَ أَقْوَى مِنَ الْإِعْطَاءِ** فِي إِثْبَاتِ مَفْعُولِهِ " (١) فمع أن الإتيان أقوى من الإعطاء ، إلا أن في التعبير بالإعطاء بشرى مع البشرى ، ففضلا عن التبشير بالكوثر ، ففيه إشارة إلى أن ما بعده من مقامات التكريم أعلى وأعظم ، **وأنه سرعان ما ينتقل ﷺ من مقام الكوثر إلى غيره من منازل العزة** ؛ لشرفه ورفعة مكانته وسمو منزلته عند ربه ﷻ " كَأَنَّه تَعالى يَقُولُ: هَذا الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وإنْ كانَ كَوْثَرًا لَكِنَّه في حَقِّكَ إعْطاءٌ لا إيتاءٌ؛ لِأَنَّهُ دُونَ حَقِّكَ، وفي العادَةِ أنَّ المُهْدِي إذا كانَ عَظِيمًا ، فالهَدِيَّةُ وإنْ كانَتْ عَظِيمَة، إلّا أنَّهُ يُقالُ: إنَّها حَقِيرَةٌ ، أيْ : هي حَقِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلى عَظَمَةِ المُهدى لَهُ فَكَذا هَهُنا."(٢) .

هذا الإسراع في درجات التكريم ومراتب التشريف والتعظيم ، يلمح فيه ما يناسب الراء من حيث **ذلاقتها** والذلاقة صفة ناتجة عن أن مخرج الصوت (طرف

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،٤ / ٨٦ ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

ـ وما علل به الزركشي سرَ التعبير بالإعطاء مع أن الإيتاء أقوى ، قائم على تفسيره للكوثر بأنه الحوض الذي يُشرب منه قبل دخول الجنة ، إذ يقول : " وَقَالَ : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ... لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتَهُ يَرِدُونَ عَلَى الْحَوْضِ وُرُودَ النَّازِلِ عَلَى الْمَاءِ ، وَيَرْتَحِلُونَ إِلَى مَنَازِلِ الْعِزِّ وَالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ فِي الْجِنَانِ ، وَالْحَوْضُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُمَّتِهِ عِنْدَ عَطَشِ الْأَكْبَادِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَقَامِ الْكَرِيمِ ، فَقَالَ فِيهِ : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) لِأَنَّهُ يَتْرُكُ ذَلِكَ عَنْ قُرْبٍ ، وَيَنْتَقِلُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَم مِنْهُ " ، ويتفق البحث مع ما ذُكر من قوة الإتيان على الإعطاء ، غير أنه يعلل سر إيثار الإعطاء في سورة الكوثر بِعِلّةٍ أخرى غير التي ذكرها الزركشي ، وذلك بناء على ما سبق ، من تفسير الكوثر بأنه نهر في الجنة ،فالكوثر هو النهر الذي وُعد به النبي ﷺ في الجنة، أما الحوض فماؤه مستمد من نهر الكوثر ويكون الشرب منه قبل دخول الجنة .

(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي ٣٢ / ٣١٢ ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٠ هـ..

اللسان مع اللثة العليا)، حيث يتسم الصوت بالخفة في النطق والسرعة في الأداء ، " وسميت بذلك لذلاقتها أي خفتها وسرعة النطق بحروفها " (١)، الأمر الذي يتناغم مع الدلالة على إسراع الترقي في درجات التشريف والتكريم .

وإنه لتتناغى صفة الذلاقة في الراء مع البنية التركيبية في (أعطيناك) ؛ إذ إن الفعل (أعطى) يتعدى بنفسه وبحرف الجر ، أقول : أعطيتُك ، وأعطيتُ لك ، وقد جاء في الآية الكريمة متعديا بنفسه – على ما في التعدية بحرف اللام من إظهار الملك – ؛ إسراعا لتبشير النبي ﷺ وإبهاجا لقلبه الشريف ، وقد حُققت دلالة الملكية من الفعل ذاته (أعطى) ؛ إذ فيه ما يدل على تمليك المُعطى واختصاصه بالعطاء ، ومن ثم تحقق بتعدية الفعل بنفسه ، ما في تعديته بالحرف وزيادة ، فكان أولى وأنسب (٢).

ولعل في هذه الصفة ما يومئ أيضا إلى خفة جريان ماء النهر وانطلاقه ، وفيها أيضا ما يناسب سورة الكوثر من حيث كونها أقصر سور القرآن الكريم في الكلمات وعدد الآيات (٣)، فالسرعة والانطلاق والإيجاز سمة هذه السورة الكريمة على ما تضمنته من المعاني التي لا يمكن حصرها .

والعلماء فيها –الذلاقة – على ثلاثة أقوال : " الأول : يرى فريق منهم أن الذلاقة ذات مفهوم بلاغي يتعلق بسهولة النطق وذرب اللسان وحدته ... الثاني :

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ص ٨٣ .

(٢) هذا التفسير مفاد من قول النحاة " اعلم أن الأصل في هذا الباب أن يتعدى الفعل بحرف الجر ، وإنما حذف حرف الجر استخفافا ... وأكثر ما يحذف منه حرف الجر إذا كان في الفعل دليل عليه ، ألا ترى أن قولك : اخترت الرجال زيدا ، أن لفظ الاختيار يقتضي تبعيضا، فلهذا جاز حذف (من) لدلالة الفعل عليها" علل النحو ، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق، تح: محمود جاسم محمد الدرويش ،ص ٣٢٢ ، ط ١ ، م: الرشد – الرياض / السعودية – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

(٣) سورة العصر وإن اتفقت مع الكوثر في عدد الآيات ، بيد أن كلماتها أكثر من كلمات الكوثر.

يرى فريق آخر أن مصطلح الذلاقة يعني صفة مخرجية فيطلقه على هذه الأصوات الستة ، ولكن بالنسبة إلى مخارجها ، بقطع النظر عما يرتبط بها من خفة وسهولة في النطق ... وهناك من الدارسين من ينتهج نهج هذا الفريق الثاني في نسبة هـذه الأصوات جميعها إلى ذلق اللسان أو طرفه **ولكنهم في الوقت نفسه يخلعون عليها صفة الخفة والحسن في الأداء** " (١) .

(١) علم الأصوات ، د /كمال بشر ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة – ٢٠٠٠ م .

المبحث الثاني :

« البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الثانية ﴿ فصلّ لربك وانحر﴾ »

وبعد أن جاءت البشرى بالكوثر في الآية الأولى ، ها هي الآية الثانية تأتي لتوجيه النبي ﷺ إلى شكر النعمة وترشده إلى مرضاة المنعم ﷻ وذلك عن طريق الأسلوب الإنشائي (الأمر) في ﴿ فصلّ ، وانحر﴾ ، وذكر المفسرون آراء عدة لتوجيه الأمر في الآية ، بيد أن الذي يتجه إليه البحث – والله أعلى وأعلم –أن الأمر ها هنا من باب ﴿فاستقم كما أمرت﴾ ؛ إذ إن صلاته ونحره ﷺ لم يكن لغير الله ﷻ ، وإنما المقصود : التنبيه على الديمومة والاستمرارية في تجديد النية واستحضار الإخلاص لله ﷻ في كل أمر من الأمور ، وهو ما عبر عنه الزمخشري بالإثارة والإلهاب والتهييج ، وخُص هذان الأمران؛ مراعاة لخصوصية السورة الكريمة كما سيظهر .

ودلالة الأمر في ﴿ فصلّ ، وانحر﴾ لا تتقيد بمعنى واحد ، إذ قد تدل على ما لا يحاط كنهه من المعاني بشرط التوافق مع السياق ، فالنكات البلاغية لا تتزاحم ما دامت لا تتعارض كما قال أهل هذا العلم الشريف ، ومما يتماشى مع سياق الآية دلالة الأمر على : الإعلان والجهر ، أي : كما جعلك ربُّك أيها النبي أخصّ الخواص ، بأن أعطاك ما لم يعطه غيرك من الجِنّة والناس ، فاجهر له بدوام الإخلاص ، وأعلن هذا للعام والخاص ، وللداني والقاصي، وذلك خلافا لمن جاهر بصلاته ونحره لغير الله من أهل الشرك والمعاصي .

وإنه ليتناغم مع هذا التوجيه الدال على الجهر والإظهار : وضع المظهر موضع المضمر في (لربك) بدلا من : فصلّ لنا [١]، " وقد أدرك البلاغيون وحي الكلمة وعملها بما يثيره لفظها من شئون في النفس لا يستطيعها الضمير العائد عليها ...فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه ...إلا أن قدرا كبيرا

(١) ويعد هذا العدول صورة من صور الالتفات.

من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظا به ولا يستطيع الضمير حمله نيابة عنه " [1]، وفي هذا العدول تسليط للضوء على معنى الربوبية الحاملة لـه ﷻ علـى تحقيـق الإخلاص الكامل الخالص من كل شائبة ، فالله تعالى هو مـن المعبـود المطـاع صاحب الإنعام بالتربية والإصلاح .

ووقعت الآية الثانية بين بشارتين ، وكأنها واسطة عقـد بـين طـرفين ، إذ الإخلاص هو سر الفوز بالعطاء (والمتمثل هنا في الآية الأولى) ، والنصر علـى الأعداء (كما بشرت به الآية الثالثة)، وتَمَيزُها تَنَاسَبَ مع مجيئها علـى الإنشـائية الأمرية وسط الإخبار في الآيتين : الأولى والثالثة ، وهي بهذا التميز ترسم الطريق وتحدد معالمه لكل من قصد الفوز في الدنيا والآخرة .

فإن قيل: وما وجه التناسب بين الإعجاز البلاغي لدلالة الأمر ووضع الظاهر موضع المضمر، وبين الإعجاز الصوتي للراء ؟

والجواب : إنه لينسجم مع تلك الدلالات ويتناغى معها ، ما تتصف به **الراء من جهورية** في الصوت ، جعلتها وجها من وجوه البلاغة الصـوتية فـي الآيـة الكريمة ؛ إذ إن الصوت المجهور أقوى وأوضح وأظهر في السـمع مـن نظيـره المهموس ، تلك القوة وذلك الظهور الصوتي للراء ، قد تلاءم مع ما أشير إليه آنفا من دلالة الأمر على الإظهار والإعلان ، والتعبير بالاسم الظاهر بدلا من المضمر؛ إذ الآية الكريمة تحث وبقوة على إظهار الإخـلاص لله ﷻ ممـثلا فـي الصـلاة والنحر؛ مخالفة للمشركين وردا لكيدهم بأنك أيها النبي لم تلتفت لسفاهتهم وترّهاتهم، بل ظللت وستظل رافعا راية التوحيد والإخلاص ، فما لك عند الله خير وأبقى .

وتتجلى العلاقة بين صفة **التكرير** في صوت الراء ، وبلاغة الآية الكريمة ، من خلال : تكرار أسلوب الأمر ﴿فصلّ ، وانحر﴾ ، ودلالته– في أحد توجيهاته – على الاستمرارية والمواظبة ، في إشارة إلى أهمية المعنى المعبر عنه وضـرورة

(١) علم البديع عند الشيخ محمد أبو موسى ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

التركيز عليه ؛ لذا جاء على هذه الهيئة من التكرارية، أي واظب أيها النبي واستمر وداوم على ذلك .

ومتعلق الفعل (وانحر) دلّ عليه المتقدم ، أي : وانحر له أي : لربك ، وفي هذا تركيز وتنبيه على أمر الإخلاص ؛ إذ جاء المتعلق في ثوبين مختلفين عن طريق الذكر تارة ، والحذف المدلول عليه أخرى ، فإن قيل : ما سر حذف المتعلق مع الأمر بالنحر ولماذا لم تأت الآية : فصلّ وانحر لربك ؟ والجواب أنه متى ما حقق العبد الإخلاص في الصلة التي بينه وبين الله ﷻ (والمعبر عنه هنا بالصلاة) ، كان الإخلاص محققا لا محالة فيما بعد ذلك من أمور ، إذ الصلاة رأس القربات ومخ العبادات ، ومتى صحت النية فيها ، صحت فيما دونها ، وقد جعل الزمخشري علة ذلك مراعاة الفواصل " وحذف اللام الأخرى لدلالته عليها بالأولى ، مع مراعاة حق التسجيع ، الذي هو من جملة صنعة البديع ، إذ ساقه قائله مساقا مطبوعا ، ولم يكن متكلفا أو مصنوعا " (١)

والفاء في (فَصَلِّ) للتعقيب ، أو للتفريع كما صرح بذلك الطاهر بن عاشور ، أي : يتفرع على ما أعطيناك من نعمة ، الأمر بالشكر والمعبر عنه بـ ﴿ فصلّ لربك وانحر﴾ ، وشكر النعمة يلازمه التعجيل والمبادرة ، ويتطلب الخفة والمسارعة، ومن هنا تتجلى البلاغة الصوتية لصفة **الذلاقة** في الراء حيث تتناسب

(١) إعجاز سورة الكوثر ص ٥٨ ، يقول شيخنا أد / محمد أبو موسى في ذلك " ويلحظ الزمخشري أن القرآن قد يعدل عن لفظ إلى لفظ مراعاة لحق الفاصلة ... وليس من الخطأ في الدين ولا في البلاغة أن تقول : إن القرآن يهتم بالناحية اللفظية لأنها جزء من أسلوبه ولأنها من دواعي التأثير ... والزمخشري من قلة من البلاغيين يرون هذا الرأي ، لذلك يفسر بعض الخصائص القرآنية تفسيرا مبنيا على اهتمامه بالناحية الصوتية " البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص ٤٤٢ ، الأمر الذي يصور أهمية الدرس الصوتي في ميدان الدراسات القرآنية ؛ إذ على أساسه تُفسر كثير من الظواهر ، وعرض آراء العلماء ومناقشتها في هذه القضية ، ليس محلا لهذه الدراسة ، وإنما أراد البحث التنويه إلى ما سبق ذكره من بيان أهمية الدراسات الصوتية .

بما تتسم به من خفة وسرعة في النطق ، مع الدلالة على الإسراع نحو الشكر ، وفي الإسراع للشكر مرضاة للمنعم ﷻ ، كما فيه تسرية عن قلبه الشريف ؛ إذ إن إحاطة النفس بذكر النعم ساعة المِحن ، وانشغال النفس بشكرها وقت الإحن ، له أعظم الأثر في تطييب ما عسى المشركون أن يكونوا جرحوا به قلبه الشريف ﷺ بألسنتهم الحِداد .

●●●

والوقف على ﴿وانحر﴾ يجعل الراء مفخمة لسكونها بعد فتح ، ومن ثم فهي **مستعلية بفخامتها** ، وإن الدلالة التي تحتويها الآية من الأمر بالإخلاص ، لفيها من العظمة والفخامة ما فيها ، لا سيما في صحبة الاسم الظاهر (لربك) ؛ إذ إن الإخلاص هو سر القبول ومفتاح الوصول ، ولولاه لا يُقبل معمول ولا يُرجى حصول .

ووصل القراءة ﴿وانحرِ * إنّ﴾ تظهر به الراء صوتا **مرققا مستفلا** ؛ لتحركها بالكسر ، وبهذه الصفة (الاستفال) فقد ساهمت الراء بصورتها المسموعة في التعبير عن الصورة المرئية؛ إذ رسمت في المخيلة مشهدا مصورا لطأطأة الرأس بالركوع والسجود ، وإظهار الخشوع والخضوع بما يحملان من معنى الانحناء والتذلل بين يدي الله ﷻ ، وهذا كله يهيئ الذهن لتخيل المشهد المعبر عنه، والذي أومأت إليه الراء المستفلة ، لا سيما في صحبة اللام المكسورة المكررة في : (فصلِّ لربك) .

وتكرار الحرف الواحد أو الأصوات قريبة المخرج على التوالي والتتابع يوحي ظاهره بالثقل في الكلام ، وقد أشار البلاغيون إلى هذه القضية في مباحث العيوب المخلة بالفصاحة ، وفي الآية الكريمة تكررت اللام ثلاث مرات ، إضافة إلى مصاحبتها الراء على قرب مخرجيهما ، " ومما يلفت الانتباه في حرف الراء وما أكثر ما لفت انتباهي ، أن العربي قد كره أن يجمع بين الراء واللام في مقطع واحد (لر ، رل) وذلك **للتنافر الصميمي في خصائصهما** : فالراء للتمفصل ، **واللام**

للاتصاق ... فالراء بتمفصله وتكراره يمثل الحركة ، واللام بالتصاقه يمثل السكون والاستقرار ... فالذوق العربي كره على العموم أن يجمع بين الراء واللام في مقطع واحد، لا للتعذر **وإنما للاستثقال** " (١)

بيد أن هذا التكرار والتوالي على هذه الهيئة ، قد أفصح عن المعنى أيما إفصاح ودل عليه أيما دلالة ، فما تختص به اللام من الدلالة على الالتصاق ، قد أشار إلى ما أُمر به النبي ﷺ من ملازمة الإخلاص والاعتصام بحبله والتمسك بعُراه ، وأجلّ مظاهر ذلك الصلاة لله ، حيث تماهى تكرار اللام المكسورة مع إظهار الانكسار والخشوع والخضوع لله ﷻ ، وما ظاهره الثقل يوحي بعظمة المأمور به وهيبته، لما يقتضيه الأمر بالإخلاص من تحقيق العبودية التامة لله ﷻ، ومن ثم جاء الكلام على هذا النحو في أعلى درجات البلاغة .

●●●

وفي (وانحر) كناية عن طريق الواسطة ، إذ يستلزم المنحور من الإبل ، كثرة الإطعام الدال على الإكثار من فعل الخير ومساعدة المحتاجين ، وبلاغة الكناية تظهر من خلال إيثار (النحر) على ما في معناه كالذبح مثلا ؛ إذ النحر خاص بالإبل ، وهي أشرف أموال العرب وأَنْفَسُهَا ، فـ " أعزّ الأموال عند العرب هو الإبل ، فأمره بنحرها وصرفها إلى طاعة الله "(٢) ، وفي هذا ما يدل على أن المأمور به هو الإطعام من أجود المال وأفضله ، وهو ما نهضت الكناية للتعبير عنه مصحوبا بالدليل والبرهان .

فإن قيل : كيف تظهر المناسبة بين الإعجاز البلاغي للكناية ، وبين الإعجاز الصوتي للراء ؟.

والجواب – والله أعلم بالصواب – تظهر المناسبة من خلال العلاقة بين المكنى به (وانحر) ، وبين صفة **الانحراف** في صوت الراء ؛ من حيث إن الراء لا

---

(١) خصائص الحروف العربية ، حسن عباس ، ص ٩١ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٣٢ / ٣١٩ .

يتحقق انحرافها إلا باصطدام طرف اللسان من الأمام بغار الحنك ، مع وجود **فجوة** في المنتصف لخروج الصوت .

والمتأمل في طريقة نحر الإبل ، يجد أن رقبتها لا توضع على الأرض لتُذبح كالأغنام والماعز مثلا ، وإنما تُطعن الإبل أولا في موضع اللبة (موضع بين الصدر والعنق) فيخرج الدم من تلك **الفجوة** الناتجة عن الطعن (١) .

وكأن الدم المنبعث من الفجوة (لُبة) الإبل عند نحرها ، يضاهي الهواء المنبعث من الفجوة في منتصف اللسان عند النطق بصوت الراء المنحرفة ، وهذا من باب مضاهاة الصورة الصوتية للصورة المرئية ، والله أعلى وأعلم ، الأمر الذي من شأنه أن يجعل النبي ﷺ مستحضرا معنى الإطعام من أفضل المال وأعزّه، وتقديم يد المعونة والخير للغير؛ ابتغاء لله ﷻ وشكرا على نعمة الكوثر ، وهو مما يحقق عظيم التسلية وتمام التسرية عن قلبه الشريف ﷺ باستحضار النعمة والعمل على شكرها .

وقد أشار عبقري العربية الإمام ابن جني إلى مجيء الأصوات بصفاتها لتحاكي المعنى المعبر عنه ، وأطلق على ذلك " سوق الحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد" (٢)، ويتجلى ذلك ها هنا في (وانحر) حيث ترسم (النون)

---

(١) "ونَحَر البعيرَ ينحَره نحرًا : طَعَنه في مَنْحَرِه حيث يبدو الحُلقوم من أَعلى الصدْر" لسان العرب لابن منظور (نحر).

(٢) "وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه؛ سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب... ومن ذلك أيضا : جرّ الشيء يجره قدموا الجيم لأنها حرف شديد ، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعا ، ثم عقبوا ذلك بالراء ، وهو حرف مكرر ، وكررها مع ذلك في نفسها. وذلك لأن الشيء إذا جرّ على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها واضطرب صاعدا عنها ونازلا إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق ، فكانت الراء لما فيها من التكرير – ولأنها أيضا قد كررت في نفسها في جر وجررت – أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها " الخصائص لابن جني ٢ /١٦٦ .

في الذهن نفاذ الطعنة وانبثاقها في عنق المنحور ، (والحاء) لبحة صوته وحشرجته، (والراء) لفيضان الدماء واستمرار خروجها (١) .

وإنه لينسجم في هذا السياق الإشارة إلى ما تتصف به الراء من صفة **الانفتاح**، حيث ينفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع عدم انحصار الصوت ، الأمر الذي يتماشى مع خروج الدماء عند النحر وتدفقها بعد الطعن .

●●●

والواو بين الأمر بالصلاة والأمر بالنحر ، للعطف ، وقد سوغه : اتحاد المسند إليه وهو الضمير المستتر العائد عليه ﷺ ، وكذلك اتحاد المتعلق (لربك) ، ومجيء المسند في الجملة الأولى (فصلّ) على نحو من التناسب مع المسند في الثانية (وانحر) ، والسؤال : لماذا خُص الأمر (بالصلاة والنحر) وما سر الجمع بينهما ؟ دارت التفاسير حول عدة توجيهات ، أبرزها : أن عبادة الجاهلية ونحرها كان للأصنام ، فجاء القرآن ليؤكد على وجوب الإخلاص فيهما لله ، وقيل ذلك خاص بيوم عيد الأضحى من حيث بيان وجوب الترتيب بتقديم الصلاة على النحر ، وقيل : خاص بسياق النزول (الحديبية).

والرأي الذي يتبناه البحث –والله أعلم بالمراد ومنه الصواب والإرشاد – أن الآية الكريمة على قلة حروفها ، قد جمعت معاني عظيمة ودلالات جليلة ، حيث إن الصلاة هي أجلّ مظاهر الصلة بالله ﷻ ، والإطعام هو أبرز مظاهر الإحسان إلى العباد وتقوية الصلة بهم ، وحقيقة الإسلام وجوهره يتحقق في هذين الأمرين : الصلة بالله والإحسان إلى عباد الله ، فليس الإسلام دين انقطاع وانعزال ورهبنة ، ولا هو دين الانصراف إلى الحياة والانغماس في التواصل والعلاقات الاجتماعية ، إنما هو دين الاعتدال والوسطية ، أظهر الأمرُ بالصلاة حظَّ الآخرة في أجلّ صوره، وأبرز الأمرُ بالنحر نصيبَ الدنيا من الإطعام والإحسان إلى الناس ومخالطتهم بالمعروف .

---

(١) "(النون) للصميمية والنفاذ والانبثاق...(والحاء) للبحة الصوتية والحشرجة...(والراء) للتحرك والتكرار" خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ص ٢٥٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ .

هذا الاعتدال وتلك الوسطية التي دلت عليها الآية ، لها ما يظهر أثره في صفات الراء ، إذ أومأت إلى الراء **بينيتها وتوسطها** بين صفتي : الشدة والرخاوة ، وهذا بناء على فرض فرضه البحث ، وهو أن حظ الآخرة إلى (الشدة) أقرب ؛ لما فيه من مجاهدة النفس وحبسها والصبر على متطلبات العبادة وتحقيقها ، وكان حظّ الدنيا من (الرخاوة) أقرب ؛ لما فيه من بحبوحة واتساع وإسعاد للنفس حيث: صلة الأهل والتواد معهم والإحسان إلى العباد ، أما التوسط (البينية) ، فهو موقف بين بين ، حيث يحقق العبد ما تتطلبه الآخرة ، وما تطلبه الدنيا .

والأمر بالصلاة والنحر ابتغاء لوجه الله ﷻ ملزومٌ ، لازمه : تحصيل حقيقة التوحيد وجوهره ، وإنما عُبر بالأسلوب الكنائي ؛ تنبيها على مظهرين من أجلّ مظاهر التوحيد ، وتعريضا بالمشركين ، إذ كانت عبادتهم صلاة ونحرا لغير الله ، ومن ثم فالكلام محمول على الكناية التعريضية ، " وقصد باللامين **((التعريف))** بدين العاص وأشباهه، ممن كانت عبادته ونحره لغير إلهه، وتثبيت قدمي رسول الله على صراطه المستقيم، وإخلاص العبادة لوجهه الكريم " [1] .

والكناية **واسطة** بين الحقيقة والمجاز ، وها هنا يتجلى وجه آخر للمناسبة بين الراء **بتوسطها وبينيتها** ، وبين بلاغة الآية الكريمة ، إذ صفة التوسط (البينية) على اعتبارها وسطا بين الشدة والرخاوة ، تضاهي الكناية باعتبارها واسطة بين الحقيقة والمجاز ، إذ الحقيقة أقرب شبها بصفة الشدة ؛ لأنها تقطع كل احتمال وتجزم بالدلالة الوضعية وتشدد عليها ، والمجاز أقرب شبها بصفة الرخاوة ؛ لأنه انفتاح على متسع من التوجيهات والتأويلات ، والله أعلى وأعلم .

(١) وردت كلمة (التعريف) في نص كلام الزمخشري ، والظاهر أن الأولى هو (التعريض) – والله أعلم – والمراد باللام الأولى : اللام في (لربك) ، واللام الثانية : اللام المحذوفة ، أي : وانحر له ، إعجاز سورة الكوثر ص ٥٨ .

المبحث الثالث :

«البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الثالثة ﴿ إنّ شانئك هو الأبتر ﴾ »

اختتمت السورة الكريمة بالتبشير كما بدأت به ، فها هي تسوق البشرى للنبيﷺ بهلاك أعدائه وكارهيه ، وقد استقرت هذه البشرى عند صوت الراء في ختام الآية ، ليكون هذا الصوت بما يحمل من طاقات أقدر الأصوات على احتواء هذه البشرى وضم دلالاتها .

وقد جاءت الآية مستأنفة " فعلّل الأمر بالإقبال على شانه ، وقلّة الاحتفال بشنآنه ، على سبيل الاستئناف ... ويتجه أن يجعلها جملة للاعتراض ، مرسلة إرسال الحكمة لخاتمة الأغراض ، كقوله تعالى : ﴿إنّ خير من استأجرت القوي الأمين﴾ " (١) وقد نُظمت هذه الحكمة الخاتمة نظما مفعما بالتأكيد والتقرير والقوة في الأداء والتعبير ، وكان ذلك من خلال عدة وسائل : ابتداء من التأكيد عن طريق الأداة (إنَّ) – جلاه ما في غنّتها من ضغط وارتكاز – واسمية الجملة ؛ إذ " تفيد الثبات والاستمرار وهما من عناصر القوة والتوكيد " (٢)؛ لتقرير البشرى في نفس النبي ﷺ وتثبيت دعائمها في قلبه ، ولدفع ما قد يتسرب إليه ﷺ من حزن لقولهم ، وكأن التأكيد في الآية جاء جوابا لما استشرفته نفسه الشريفة ﷺ حول قولهم ببتره وانقطاع أمره وعلاقته بالأمر في (فصلّ لربك وانحر)، فجاء التوكيد حسما لتطلعات النفس وتوجيها للنبي ﷺ بدوام الشكر والإخلاص ، فهو ﷻ من سيتولى أمرهم ويقطع ذكرهم ويجعل البتر نصيبهم .

ويردف التأكيد بـ (إنّ) في احتواء هذا المعنى ، القصر بتوسط ضمير الفصل (هو) بين المسند إليه اسم (إنّ) : " شانئك " ، والمسند خبرها " الأبتر" ،

---

(١) إعجاز سورة الكوثر ٥٩ .

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ،أد/ محمد أبو موسى ، ص ٤١٨ .

حيث قُصر البتر على الشانئ ، ونُفي عنه ﷺ قصر صفة على موصوف ، قصرا إضافيا يراد به قلب مزاعم الكافرين الذين نعتوهﷺ بالأبتر لموت أولاده من الذكور.

وآثر القرآن الكريم هذا المسلك دون غيره من طرق القصر الأربع الاصطلاحية : إذ مع (إنما) يكون النظم : إنما الأبتر شانئك ، مما يحدث قلقا إيقاعيا للفاصلة ، وطريق النفي والاستثناء، لا يناسب حال المخاطب ﷺ ؛ إذ ليس مما يتأتى منه إنكار الخبر أو الشك فيه حقيقة أو تنزيلا ، ومع طريق العطف ، تذهب مزية الإيجاز بذكر المنفي والمثبت معا .

ويستمر التأكيد على المعنى محيطا بجو الآية الكريمة ، حيث اجتمع فيها طريقان من طرق القصر (توسط الضمير ، وتعريف المسند بأل) ومن ثم يكون القصر بأحدهما والآخر للتأكيد ، وقد أُفيد القصر من توسط ضمير الفصل ، وجاء التعريف ليسانده في تقرير المعنى ويقويه ، هذا فضلا عما يحمله ضمير الفصل نفسه من دلالة على تثبيت المعنى وتركيزه وتوكيده [١].

والمناسبة بين الإعجاز البلاغي والصوتي ، يظهر من خلال ما تتصف به الراء من صفة **الجهر** ، الناتج عن جهد عضلي قوي عند النطق بالصوت لاهتزاز الوترين الصوتيين وعدم جريان النفس معه ، وقد ترتب على ذلك وضوح الصوت في السمع ، إضافة لما تتسم به الراء من صفات : **الاستعلاء والتفخيم** ، الناتجين من تصعد الصوت إلى الحنك الأعلى ، والسّمن الذي يعتري الصوت عند النطق به.

وهذه الصفات الصوتية للراء من: جهر واستعلاء وتفخيم ، لها أبرز التناسب والتلاؤم مع ما أشير إليه آنفا من: توكيد للمعنى، وما فيه من قصر وحصر؛ إذ تتناسب قوة الأسلوب البلاغي وتتناغم مع صفات القوة في صوت

(١) وقد سماه الكوفيون (عمادا) للاعتماد عليه في أداء المعنى ، و(دعامة) لأنه يدعم به الكلام ، أي : يقوى ويؤكد.

الراء، وبهذه القوة المفعمة تكتمل البشرى له ﷺ بنقض كلام المشركين ، وأن البتر وانقطاع الأثر لن يناله هو ﷺ، وإنما سيكون مصيرا لهم .

وتعدد وسائل التأكيد وترددها بين : إنّ ، واسمية الجملة ، واجتماع : توسط ضمير الفصل في حيز تعريف المسند بأل ؛ ليفاد القصر من الأول ويحقق الثاني تقرير المعنى وتوكيده ، لهو أمر يناسب ما في الراء من صفة **التكرير** ، حيث يتكرر الصوت وكأن طرف اللسان يرتعد عند النطق بالحرف ، الأمر الذي من شأنه أن يشير إلى أن هذا البتر لن يكون خاصا بالعاص أو غيره ممن عاصروا النبي ﷺ ، وإنما سيكون مصيرا مكررا مرددا لكل شانئ على مرّ العصور وكرّ الدهور .

لينتج في النهاية صورة مفعمة بالمتانة في المعنى المعبر عنه والأداء الصوتي المعبر به ، بأن البتر هو نصيب كارهي النبي ﷺ وفي ذلك ما فيه من تسلية له ﷺ وتسرية عنه ، والتبشير ببتر الأعداء يتناغى مع ما صُدرت به السورة الكريمة من التبشير بالإعطاء (نهر الكوثر) .

●●●

والضمير (هو) في الآية الكريمة يعرب على وجهين : أولهما – أنه ضمير فصل، حرف لا محل له من الإعراب ، والآخر – أنه مبتدأ خبره " الأبتر" ، والجملة كلها (هو الأبتر) خبر (إنّ) ، ومن ثم فقد جاء المسند (خبر إنّ) جملة ؛ تأكيدا وترسيخا للمعنى وإشارة إلى ثبوت هذا الحكم ودوامه في حق الشانئ .

بيد أن التوجيه البلاغي للوجوه الإعرابية ، يرجح الحمل على إعراب (هو) كضمير فصل ؛ إذ إنه على هذا الوجه الإعرابي فيه ما يدل على معنى القصر والحصر ، وأصل القصر قائم على جملتين : إحداهما مثبتة والأخرى منفية ، فقد أُثبت البتر للشانئ ونُفي عن النبي ﷺ في أوجز عبارة وأخصر لفظ ، أما الحمل

على أنه مبتدأ (الوجه الإعرابي الثاني) فلا تظهر فيه هذه المزية [١] ، ومن ثم تحقق بالحمل على أن الضمير للفصل ، ما في الوجه الآخر (التأكيد) وزيادة (القصر والحصر) ، ولذا كان أولى ، والله أعلم وأعلى .

فإن قيل : وما علاقة التناسب بين الإعجاز البلاغي للقصر بتوسط ضمير الفصل ، وبين الإعجاز الصوتي للراء ؟ قلت : تتجلى العلاقة بين البناء التركيبي للضمير (هو) مع الأداء الصوتي للراء المنحرفة ، إذ إن صفة **الانحراف** في الراء تحدث نتيجة تلك **الفجوة** التي يمر منها الصوت بعد اصطدام طرف اللسان من الأمام بغار الحنك ، وبإمعان النظر في موقع الضمير (هو) يلحظ أنه يمثل في حقيقته **فجوة** بين ركني الجملة : المسند إليه (شانئك) والمسند (الأبتر) ، ولذا سماه البصريون ضمير فصل ، فهو يفصل بين المتلازمين وكأنه يُحدث فجوة بينهما ، هي تلك الفجوة التي تحدثها الراء المنحرفة في صورتها الصوتية ، والله أعلى وأعلم .

●●●

وفي الآية الكريمة استعارة في (الأبتر) ، وأصل البتر " البَتْرُ : اسْتِئْصالُ الشيء قطعا... البَتْرُ قَطْعُ الذَّنَبِ ونحوه إذا استأْصله " [٢]، " والأَبْتَرُ: حَقِيقَتُهُ المَقْطُوعُ بَعْضُهُ ، وغَلَبَ عَلَى المَقْطُوعِ ذَنَبُهُ مِنَ الدَّوابِّ، ويُسْتَعارُ لِمَن نَقَصَ مِنهُ ما هو مِنَ الخَيْرِ في نَظَرِ النّاسِ ، تَشْبِيهًا بِالدّابَّةِ المَقْطُوعِ ذَنَبُها **تَشْبِيهَ مَعْقُولٍ بِمَحْسُوسٍ** " [٣] .

---

(١) ينظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ، تح : د/ عبد الحميد هنداوي ، ١ / ٢٢٧ ، ط : ١ ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م ، وبلاغة القصر دراسة نقدية تحليلية ، أد/ عبد العزيز أبو سريع يس ، ص ٢٥٦ ، ط ١ ، مطبعة السعادة – القاهرة ، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٦ م .

(٢) لسان العرب (بتر) .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٧٦ .

فإن قيل : ما بلاغة الصورة الاستعارية ، وقد كان للمعنى – في الظاهر – أن يُؤدَّى بغيرها؟ والجواب : حققت الاستعارة ما لم يتحقق بدونها ، يتجلى ذلك فيما يلي :

أولا – استعارة المحسوس للمعقول : وفي هذا إلحاح على حواسهم كلما رأوا مبتورا من الدواب، تذكروا ذلك الوعيد وما سيلحق بشانئ النبي ﷺ وفي هذا السر البلاغي ما يتماهى مع صفة **الجهر** في الراء ، حيث الظهور والوضوح والبروز الصوتي المتناغم مع استعارة المحسوس للمعقول .

ثانيا – مجاراة الخصم للإفحام والإلزام : فقد نعتوا النبي ﷺ بالأبتر، فجاءت الآية وفق قولهم ، غير أنها قلبت الحكم ، وجعلت البتر لهم، في تنبيه على أن العبرة ليست بالذكور من الذرية، وإنما العبرة بانقطاع الخيرية فيما عند الله ﷻ .

ثالثا– جاءت الباء بقلقلتها في (الأبتر) ، لتقلق راحتهم وتؤرق مضاجعهم ، فما هم فيه من خير ، سرعان ما سيزول وتنقطع بهم أسباب الوصول ، انقطاعا تاما لا يحول ولا يزول ، وهو ما دلت عليه الصفة المشبهة (أبتر) الدالة على الثبوت ودوام الحصول .

والسؤال المعروض ها هنا : كيف يكون هذا الشانئ هو الأبتر ، وله من الولد ما له ؛ " لِأَنَّ العاصِيَ بن وائِلٍ لَهُ عَقِبٌ ، فابنُهُ عَمْرٌو الصَّحابِيُّ الجَلِيلُ ، وابنُ ابنه عَبْدُ اللَّهِ بن عَمْرِو بن العاصِ الصَّحابِيُّ الجَلِيلُ ، ولِعَبْدِ اللَّهِ عَقِبٌ كَثِيرٌ ، قالَ ابْنُ حَزْمٍ في الجَمْهَرَةِ: عَقِبُهُ بِمَكَّةَ وبِالرَّهْطِ. " (١) ؟

يجيب فنٌّ (أسلوب الحكيم) عن هذا السؤال ؛ إذ مقصدهم من " الأبتر" هو من لا عقب له ، فجاءت الآية الكريمة وقد تلقت المخاطب بغير ما يترقب ؛ تنبيها له على أنه الأولى ، فليست الذرية من الذكور هي المعيار ، فهو حاصل لهم على انقطاع ما لهم من خير الله وفضله، " ولَكِنْ لَمّا كانَ وصْفُ الأبْتَرِ في الآيَةِ جِيءَ بِهِ

(١) تحرير التنوير للطاهر بن عاشور ٣٠ / ٥٦٧ .

لمُحاكاةِ قَوْلِ القائلِ مُحَمَّدٌ أَبْتَرُ؛ إبْطالًا لِقَوْلِهِ ذَلِكَ، وكانَ عُرْفُهم في وصْفِ الأَبْتَرِ أَنَّهُ الَّذِي لا عَقِبَ لَهُ ، تَعَيَّنَ أنْ يَكُونَ هَذا الإبْطالُ ضَرْبًا مِنَ **الأُسْلُوبِ الحَكِيمِ** وهو تَلَقِّي السّامِعِ بِغَيْرِ ما يَتَرَقَّبُ ، بِحَمْلِ كَلامِهِ عَلى خِلافِ مُرادِهِ تَنْبِيهًا عَلى أنَّ الأحَقَّ غَيْرُ ما عَناهُ مِن كَلامِهِ ... وذَلِكَ بِصَرْفِ مُرادِ القائِلِ عَنِ الأبْتَرِ الَّذِي هو عَدِيمُ الِابْنِ الذَّكَرِ ، إلى ما هو أجْدَرُ بِالِاعْتِبارِ وهو النّاقِصُ حَظَّ الخَيْرِ " (١) .

هذه الصورة المفادة من ذلك الفن البلاغي ، تشير محصلتها إلى أنهم وإن كان لهم حظٌ من خير الدنيا من ولد أو عقب ، فإنهم محرومون ممنوعون من خير الآخرة ، وللبحث أن يسأل : **ما وجه المناسبة بين الإعجاز البلاغي لهذا الفن وبين الإعجاز الصوتي للراء ؟ .**

لعل الجواب يكمن في صفة **البينية (التوسط)** في صوت الراء ، تلك الصفة التي يتحصل الأداء الصوتي بها بأن يكون الحرف في مرحلة وسط بين الشدة والرخاوة : ففي الصوت الشديد ينحبس جريان الصوت لانغلاق المخرج ، وفي الصوت الرخو لا ينحبس لعدم انغلاق المخرج ، وإنما تتحقق البينية (التوسط) بالجريان الجزئي للصوت في المخرج لعدم كمال غلقه.

طريقة الأداء الصوتي هذه ، تشي إلى ما يدل عليه فنّ (أسلوب الحكيم) ، وذلك بناء على ما فرضه البحث من أن **الصوت الشديد** الذي ينحبس معه جريان الصوت لانغلاق المخرج ، يمثل : انقطاع الخير عنهم كلية وانحباسه عنهم في الدنيا والآخرة ، وأن **الصوت الرخو** الذي يسري معه الصوت ولا ينحبس لانفتاح المخرج ، يمثل : اندفاع الخير لهم مطلقا ، وأن **الصوت المتوسط** ، الذي يتحقق بجريان جزئي للصوت في المخرج ، يمثل : جزء الخير الذي ربما تحقق لهم في العاجلة من أبناء وذرية ؛ استدراجا لهم ، على حرمانهم من خير الآخرة ونعيمه في الآجلة ، والله أعلى وأعلم .

●●●

(١) تحرير التنوير للطاهر بن عاشور ٣٠ / ٥٧٧ .

وفي الآية الكريمة كناية عن موصوف ، فـ (شانئك) مقصود به : العاص بن وائل وغيره ممن نعتوا النبي ﷺ بالبتر ، وبلاغة الكناية تتجلى في أمور :

أولا – الإشارة إلى أن باعثهم على ما قالوه هو الكره والبغض المصحوب بقبيح القول والفعل ، " ولم ينطق إلا عن الشنآن ، الذي هو توأم البغي والحسد ، وعن البغضاء التي هي نتيجة الغيظ والحرد (الغضب) " (١).

ومن ثم كان إيثار الآية الكريمة للفظ (شانئك) دون ما يدور في فلكها من ألفاظ ، مثل : كارهك ، أو مبغضك ، فـ " الألفاظ : بغضاء ، شنآن ، قِلى ، كره ، مقت ، بينها تقارب دلالي ؛ حيث تشترك في أنها جميعا تناقض الحب ، وفيها عدم رضا ، والكره أعم هذه الألفاظ ، ولسائرها ملامح دلالية تميز بعضها عن بعض ... **والشنآن : بغض شديد وتجنب وتقذّر** " (٢) ، وهذا التوجيه الدلالي يتوافق مع المعنى اللغوي للكلمة ، فـ " (شَنَأَ) الشِّينُ وَالنُّونُ وَالْهَمْزَةُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى البغضةِ وَالتَّجَنُّبِ لِلشَّيءِ ، مِنْ ذَلِكَ الشَّنُوءَةُ ، وَهِيَ التَّقَزُّزُ ؛ وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ أَزْدِ شَنُوءَةَ . "(٣)

فهؤلاء الشانئون لم يكن بُغْضُهم أمرا مكنونا في صدورهم ، إنما تعدى ذلك إلى القول المُظهر لاستخفافهم – عليهم من الله ما يستحقون – بأمره ﷺ وتجنبهم له ؛ ظنا منهم بانقطاع ذكره وزوال أثره .

وقد جاءت الحروف في هذه الكلمة على سمت المعنى المقصود (كما هو تعبير ابن جني) ، (فالشين) حرف يدل على تفشي الكراهية وانتشارها في الصدر ، (والنون) يشير إلى نفاذها إلى القلب ،(والهمزة) تدل على بروز ذلك الشعور في الأقوال والأفعال ، و(الكاف) تدل على تعمد إيصال تلك الكراهية للنبيﷺ في شتى المواقف والأحوال (٤)لذا جاء التعريف بالإضافة إلى الضمير في (شانئك) أدل على

---

(١) إعجاز سورة الكوثر ، ص ٥٩.

(٢) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، د/محمد محمد داوود ، ص ١٤٢ ، دار غريب ، ٢٠٠٨م .

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (شنأ).

(٤) " النون للانبثاق ... الهمزة للبروز ...الشين للتفشي والانتشار ...الكاف للاحتكاك" خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس، ص : ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٤٦ .

المعنى من التعريف بـــ أل : الشانئ ؛ ولذا استحق هؤلاء لجُرأتهم علـــى القـــول والاستهانة ، الحكم بالبتر والإهانة .

ثانيا – عموم الحكم بالبتر لكل من اتصف بهذا الوصف (الشنآن) ، وهو مـــا لم يكن يظهر بتعيين الشانئ .

ولما كانت هذه البشرى من أجلّ البشريات ، ظهرت العلاقة بين الدلالة وبين صفة **الذلاقة** في صوت الراء ؛ إذ يتسم بخفته في النطق وسرعته في الأداء ، وفي ذلك أيضا ما يناسب سرعة تحقق الوعد له ﷺ بتحقق الوعيد في الشـــانئين بـــالبتر وانقطاع الخيرية .

وهذا مما يلائم صفة **الانفتاح** في صوت الراء ؛ إذ هي صفة ضعف نتيجـــة لأن الجهد العضلي المبذول في الصوت المنفتح يكون ضعيفا ، ومن ثم تلاءم هـــذا الضعف الصوتي مع الضعف المعنوي الذي تصوره الآية لهذا الشانئ .

●●●

وبعد ، فهذه محاولة للبحث عن البلاغة الصوتية للراء في ختام آي (الكوثر)، التي هي أقصر سور القرآن الكريم ، والتي تعددت وجوه التناسب فيها على وجـــه أعجز أرباب الفصاحة والبيان ، بل والإنس والجان ، حيث جاء التناسب بالتبشـــير في الآية الأولى والثالثة ، والتناسب بالطباق المعنوي بين ما يدل عليه لفظ (الكوثر) من الزيادة ، و(الأبتر) من النقص والإبادة ، وبين ما يدل عليـــه (الإعطـــاء) مـــن الحبّ، و(الشنآن) من البغض والكره ، وكذلك التناسب بالخبرية في الأولى والثالثة، وتصدرهما بـــ(إنّ) التوكيدية المصحوبة بالقصر والحصر ، وقد وقعـــت بينهمـــا الإنشائية كواسطة عقد (الآية الثانية) ، حيث تناسب فعلاها في الأمريـــة واتحـــاد المسند إليه (الضمير العائد عليه ﷺ) والمتعلق ، كما تناسبت فواصل الآي بمجيئها على متحرك يليه ساكن فمتحرك فساكن (/ ٥ / ٥) ، ليأتي الصوت الخاتم (الراء) في نهايات تلك الفواصل مكررا على الأسماع ، متناغما بجرسه وإيقاعه وما يحمله من صفات ، مع بلاغة الآيات الكريمات .

هذا والله أعلى وأعلم

الخاتمة

أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج ، يتجلى فيما يلي :

أولًا – تناسب **صوت الراء المجهور** في ختام فواصل سورة الكوثر مع مقتضى الحال ، إذ تناسب بما يحمله من قوة ووضوح سمعي مع قوة أسلوب التأكيد بـ (إن) واسمية الجملة وقوة القصر ، في الآية الأولى والثالثة ، في حين تماهى مع خروج الأمر عن معناه إلى معنى يراد به : الإظهار والإعلان في الآية الثانية .

وفي هذا السياق تنسجم صفات القوة المعاضدة للجهر ، حيث تتناغى مع قوة الأسلوب وفخامته ، صفاتُ : الاستعلاء والتفخيم .

ثانيا – تناسب **صوت الراء ببينيته وتوسطه بين الشدة والرخاوة** ، في الآية الأولى مع تصوير ماء الكوثر في المخيلة ، حيث الانسجام والهدوء في الجريان ، فلا هو طوفان هادر كما يمكن أن يُصور من خلال صفة (الشدة/ الانفجارية) ، ولا هو ماء مصحوب بحفيف ودوي كما يمكن أن يُصور من خلال صفة (الرخاوة/الاحتكاكية) .

أما الآية الثانية فجاءت الراء ببينيتها وتوسطها ، لتناسب سر الجمع: العطف بين (الصلاة والنحر) ، وكذلك ظهر وجه آخر لها إذ تناسبت مع الكناية في الآية الكريمة على اعتبارها واسطة بين الحقيقة والمجاز .

في حين جاءت لتتلاءم ببينيتها وتوسطها مع فن (أسلوب الحكيم) في الآية الثالثة (وذلك على النحو الذي ورد مفصلا في البحث) .

ثالثا – تناسب **صوت الراء بانحرافه** مع أصل الدلالة اللغوية لكلمة (نهر) ، إذ جاءت الصورة الصوتية محاكاة للصورة المرئية في الآية الأولى .

في حين جاءت الراء المنحرفة في الآية الثانية ، لتتناغم مع أسلوب الكناية ، لتعبر بصورتها الصوتية عن الصورة المرئية في (وانحر) .

أما الآية الثالثة ، فوردت الراء بانحرافها متماهية مع البناء التركيبي للآية على اعتبار (هو) فيها ضمير فصل لا محل له من الإعراب .

رابعا – تناسب **صوت الراء بتكراره** مع تكرار التوكيد بأداته (إنّ) تارة وبالفحوى تارة أخرى ، إضافة إلى تكرار الإسناد، وتكرار ضمير العظمة في الآية الأولى .

وفي الآية الثانية تناسب صوت الراء المكرر مع تكرار أسلوب الأمر ، وكذلك تناغمت الراء بتكريرها مع تعدد طرق التوكيد في الآية الثالثة .

خامسا – تناسب **صوت الراء بذلاقته** مع تصوير خفة جريان ماء النهر في الآية الأولى ، ومع دلالة (الفاء) على التعقيب أو التفريع في الآية الثانية ، ومع سرعة تحقق الوعد في الثالثة .

سادسا – تناسب **صوت الراء المنفتح** مع تصوير انسيابية ماء الكوثر في الأولى ، كذلك جاء ليصور مشهد تدفق الدماء عند النحر في الآية الثانية ، ولكون الانفتاح من صفات الضعف ، فقد ناسبت الراء بضعفها حال الشانئ في الثالثة حيث الوعيد القاطع الجازم ببتره .

التوصيات : إنّ الحديث عن البلاغة الصوتية في آي الذكر الحكيم ، ضارب بجذوره في كتب علمائنا – رضي الله عنهم – وقد تفرع عن تلك الجذور بحوث ذات أفنان وأغصان ، أينعت وآتت أكلها ، غير أنها لا تزال بحاجة إلى مزيد من الري لتضاعف ثمارها ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

ثبت المصادر والمراجع

أولا ـ الكتب :

- إتقان البرهان في علوم القرآن ، أد / فضل حسن عباس ، ط ١ ، دار الفرقان – الأردن ، ١٩٩٧ م .
- أسباب النزول ، لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري ، الناشر : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع .
- الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ، مطبعة نهضة مصر .
- إعجاز سورة الكوثر للزمخشري ، تح : حامد الخفّاف ، ط ١ ، دار البلاغة بيروت– لبنان ، ١٤١١ ه / ١٩٩١ م .
- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، د/ عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ، الدار الثقافية للنشر–القاهرة ، ١٤٢٥ ه / ٢٠٠٤ م .
- الأنساق الدلالية للصوت اللغوي (بحوث تطبيقية في القرآن الكريم) د/ عادل عباس النصراوي ،تموز للطباعة والنشر والتوزيع – ٢٠١٦ م .
- الإيضاح مع البغية ، للخطيب القزويني ، تح / الشيخ عبد المتعال الصعيدي ،ط ١، م الآداب –القاهرة ، ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م
- البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.
- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، أد/ محمد إبراهيم شادي ، ط ١ ، الرسالة – القاهرة – ١٤٠٩ه/ ١٩٨٨ م .
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ،أد/ محمد أبو موسى، ، ط ٢ ، م:وهبة ، ١٤٠٨ ه / ١٩٨٨ م .
- بلاغة القصر دراسة نقدية تحليلية ، أد/ عبد العزيز أبو سريع يس ، ط ١ ، مطبعة السعادة – القاهرة ، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٦ م .
- تاريخ نزول القرآن ، محمد رأفت سعيد ، ط ١ ، دار الوفاء – المنصورة، مصر، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ

- التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ، تح : غانم قدوري حمد ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة بيروت –لبنان ، ١٤٢١ ه /٢٠٠١ م.
- جهد المقل لمحمد بن أبي بكر المرعشي ، تح : د/سالم قدوري الحمد ، ط ٢ ، دار عمار الأردن ،١٤٢٩ ه / ٢٠٠٨ م .
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، ط ٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- خصائص الأسلوب في الشوقيات ، د/محمد الهادي الطرابلسي ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٨١م.
- خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨ م .
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تح : الشيخ/ محمود شاكر، ط: ٣ ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- دلالات التراكيب [دراسة بلاغية] ، أ.د/ محمد محمد أبو موسى ، ط ٤ ، م: وهبة بالقاهرة ، ١٤٢٩ه / ٢٠٠٨م.
- شرح منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه للإمام العلامة ابن الجزري، شرح الشيخ الدكتور/أيمن سويد ، جمع وتقديم : ليلى نبيه نبهان، د.ت .
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ، تح : د/ عبد الحميد هنداوي ، ط : ١ ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .
- علل النحو ، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق،تح: محمود جاسم محمد الدرويش ، ط ١ ، م: الرشد – الرياض / السعودية – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
- علم الأصوات ، د /كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة – ٢٠٠٠ م .
- علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى ، كتبه وعلق حواشيه أد / محمود توفيق محمد سعد، ط ١ ، مكتبة وهبة ، ٢٠١٩ م .
- الفاصلة في القرآن د/ محمد الحسناوي ، ط ٢ ، دار عمار – عمان ، ١٤٢١ ه / ٢٠٠٠ م .

- قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود ، تأليف عبد العزيز عبد الفتاح القاري ، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
- لسان العرب لابن منظور .
- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر – بيروت (د.ت) .
- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، د / محمد محمد داوود ، دار غريب ، ٢٠٠٨م .
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٠ هـ.
- مقاييس اللغة لابن فارس .
- نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد ، الشيخ : محمد مكي نصر الجريسي ، ط ٤ ، م : الآداب –القاهرة ، ١٤٣٢ ه /٢٠١١ م .
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، أد/ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي ، ط ٢ ، مكتبة طيبة – المدينة المنورة .

ثانيا – الدوريات :

- التوكيد بالجملة الاسمية دراسة بلاغية د/ بلقيس بنت محمد الطيب ، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية والعربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس محرم ١٤٢٩/ ٢٠٠٩ م .
- دراسة صوتية للراء في ضوء القراءات القرآنية د /مصطفى زكي التوني مجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة العدد(٢٠).
- دلالة الأصوات المجهورة في خاتمة فواصل سورة البروج ، أد/ سوسن حسانين الهدهد ، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود .
- سورة الكوثر ، تحقيق القول في زمان ومكان نزولها دراسة حديثية نقدية ، محمد عبد الرازق الرعود ، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية ، مج ٥٣ ، ع ٦ ، ٢٠٠٩ م .
- على هدي الفواصل القرآنية ، د/ إبراهيم أنيس ، مجموعة البحوث والمحاضرات، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٦١ / ١٩٦٢م.

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	الملخص	١٣٨٥
٢-	Abstract	١٣٨٦
٣-	المقدمة :	١٣٨٧
٤-	التمهيد :	١٣٩٣
٥-	أولا – بين يدي سورة الكوثر .	١٣٩٣
٦-	ثانيا – الفاصلة القرآنية : مفهومها ، أهميتها .	١٣٩٥
٧-	ثالثا – المقصود بالبلاغة الصوتية :	١٣٩٦
٨-	رابعا – صوت الراء : الصفات والمخرج :	١٣٩٩
٩-	المبحث الأول : البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الأولى ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر ﴾	١٤٠٨
١٠-	المبحث الثاني : البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الثانية ﴿ فصلّ لربك وانحر﴾	١٤٢١
١١-	المبحث الثالث : البلاغة الصوتية للراء في فاصلة الآية الثالثة ﴿ إنّ شانئك هو الأبتر ﴾	١٤٢٩
١٢-	الخاتمة	١٤٣٧
١٣-	ثبت المصادر والمراجع	١٤٣٩
١٤-	فهـرس الموضـوعـات	١٤٤٢